www.dorat-ghawas.com

١١٦

المورد

مجلة تراثية فصلية محكمة

www.dorat-ghawas.com

محتويات العدد

المورد . العدد الرابع . المجلد التاسع والعشرون . ٢٠٠١

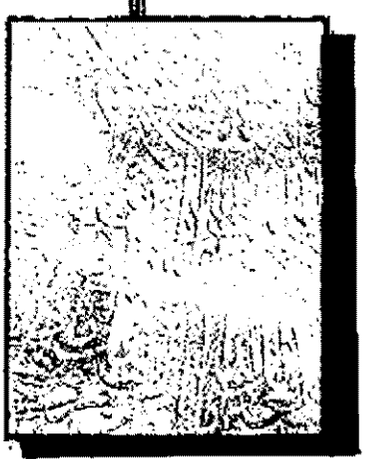

■ الموردة

• فرض الحصار واستمراره
مصلحة اميركية ـ صهيونية ..... د . محمد البكاء ٣ – ٤

■ بحوث ودراسات

• الجهاد في القرآن الكريم ..... د . محمد البكاء ٥ – ١٤
• الصف القتالي عبر الايام والليالي / عرض وتحليل ..... عبد القادر التحافي ١٥ – ٣٤
• المبرد والقراءات القرآنية ..... د . علي ناصر غالب ٣٥ – ٤١
• القراءات القرآنية الشاذة في
غريب القرآن للسجستاني ..... د . صالح مهدي عباس ٤٢ – ٥٢
• كعب بن زهير بين الغربة
والانتماء في نصه الشعري ..... د . عبد الرزاق خليفة الدليمي ٥٣ – ٦٢
• مجالس ابن الجوزي في بغداد وآثارها الاجتماعية ..... أ . د . حسن عيسى الحكيم ٦٣ – ٦٦
• مشيخة الغزاة ودورها في بلاد الاندلس ..... د . مزاحم علاوي الشاهري ٦٧ – ٧٤
• مقام الاطباء عند الخليفة المتوكل على الله ..... أ . د . بهجت كامل عبد اللطيف ٧٥ – ٨٠
• الطب العراقي واثره في الطب اللاتيني ..... د . محمود الحاج قاسم محمد ٨١ – ٨٦

■ النصوص المحققة والفهارس

• زيد بن عمرو بن نفيل حياته وما تبقى من شعره ..... أ . د . ايهم عباس القيسي ٨٧ – ٩٤
• مخطوطات خزانة احمد سالم الكيلاني ..... اسامة ناصر النقشبندي ٩٥ – ١١٢

■ نقد وتعقيب

• نظرات نقدية في كتاب غرر البلاغة
في النظم والنثر للثعالبي ..... عباس هاني الچراخ ١١٣ – ١٢٢

الجديد في المكتبة

• كتاب الانبياء في العراق د . رعد شمس الدين الكيلاني
عرض : نجلة محمد ..... ١٢٣ – ١٢٥

اخبار التراث العربي ..... اعداد : حسن عربيي ١٢٦ – ١٢٨

www.dorat-ghawas.com

الصف القتالي عبر الايام والليالي

عبد القادر التحافي / عميد ركن

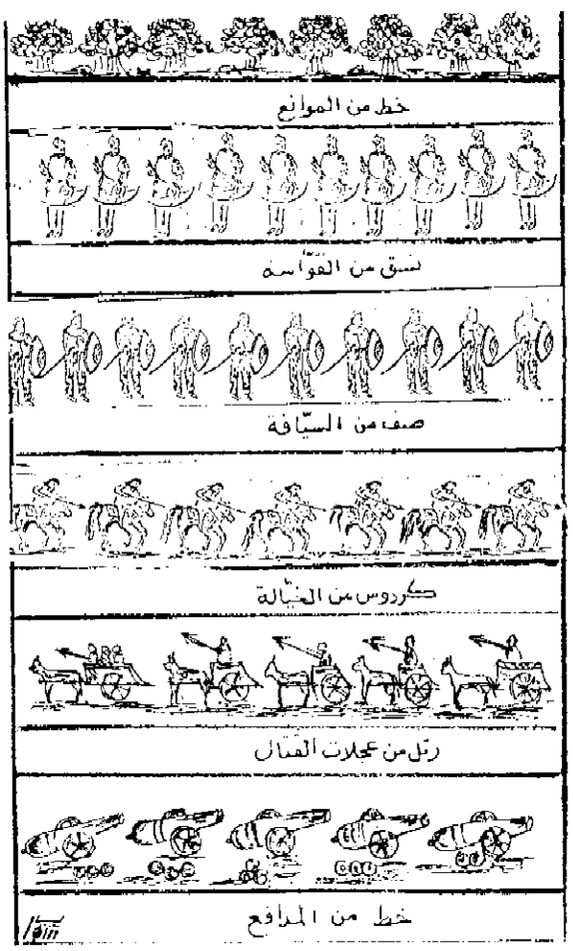

* إنّ الله يحبُّ الذينَ يقاتلون في سبيله صفاً كانهم بنيانٌ مرصوصٌ * الصف / ٤

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين ، نبينا محمد الامين المبعوث هداية للعالمين ، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ، ومن تبعهم بأحسان الى يوم الدين .

امّا بعد :

١ . فالغرض من هذا المقال تصوير ما في الذهن والواقع أو تجبير ما في النظرية والتطبيق على مهاد لوحة متحركة فوق مدرجة الزمن النقال للتعبير عمّا لصفوف القتال من هيئات وأحوال . وقد عنونته بسجعة « الصف القتالي عبر الأيام والليالي » تساوقاً مع تراثية الموضوع المنتخب وتطابقاً مع ما عرف عن العرب بخاصة من تسميتهم المعارك بالايام . فايام العرب وقائعها ، وقد خصّوا الايام دون الليالي في الوقائع لان حروبهم كانت تقع نهاراً في الاغلب الاعم . كـ « يوم ذي قار » و « يوم حليمة » . واذا كانت الوقيعة ليلًا قالوا : ليلة كذا . كـ « ليلة أوقد في خزازى » ، و « ليلة الهرير » .

٢ . ولعلّ هذا المقال سيتخذ من كتاب « الرسول القائد » لمؤلفه محمود شيت خطاب ، العقيد الركن ، محوراً لمعالجة الآراء ومتابعة الاجواء ، فهو منطلق الايحاء .

طلعت علينا طبعة الكتاب الاولى ببغداد سنة ١٩٥٨ م . ثم تتابعت الطبعات وتوزعت الترجمات على بضع لغات . وكان كتاباً منوّر السطور مبتكر الامور ، سبّاقاً الى كسب المبادرة في الربط بين التراث والمعاصرة ، وكان الرائد لمن بعده والقائد لمن تلاه ، وما اكثر من قرطس على غَرَضِه ـ وأنا منهم ـ ، فجزى الله المؤلف ابن خطاب زُلفى وحسن ثواب . ثم اطلّت علينا الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٤ م فاذا النصوص المقتبسة هنا ذات نصوص الأولى .

٣ . من اراد الكتابة عن الصف القتالي أو نظام الصف عليه ان يناقش ما كتب من جاء بعده لتحديد المعنى المعروف والشكل المألوف بغية ايقاف ما ينجم من اختلاف يفرضه تباين الرؤية الى حقيقةٍ لتأويلها اكثر من وجه تتنافر فيها الآراء وتتناحر الأهواء .

• محور النقاش

٤ . تكلم مؤلف الرسول القائد على أساليب القتال فقال : « ... ويبتكر الاسلام القتال باسلوب الصف الذي لم تكن العرب تعرفه

www.dorat-ghawas.com

آنذاك . بل كانت تقاتل باسلوب الكرّ والفرّ . » ثم عطف بآية الصف . ومن بعض ما قال : « ... دخل المسلمون معركة بدر باسلوب الصف وهو اسلوب جديد في القتال لم تعرفه العرب من قبل وبسيطرة قائد واحد ... أما المشركون فقد مارسوا اسلوب قتال الكر والفر بدون قيادة ولا سيطرة . »

وتحت عنوان « تعبية جديدة » قال : « ... والقتال باسلوب الصفوف يكون بترتيب المقاتلين صفّين أو ثلاثة أو أكثر بحسب عددهم ، وتكون الصفوف الأمامية من المسلحين بالرماح لصدّ هجمات الفرسان وتكون الصفوف المتعاقبة الاخرى من المسلمين بالنبال لتسديدها على المهاجمين من الاعداء . وتبقى الصفوف في مواضعها بسيطرة قائدها حتى يَفْقد زَخمُ المهاجمين بالكر والفر شدته ، عند ذلك تتقدم الصفوف متعاقبة للزحف على العدو . » .

وعن الكلام على « دروس من بدر » قال : « .... استطاع الرسول ﴿ ﷺ ﴾ السيطرة على قواته باسلوب الصف والاحتفاظ باحتياط للطواريء . لقد كان اسلوب الصف جديداً بينما كان اسلوب الكرّ والفرّ بالياً . »[1]

* مقتبسات متشابهات

٥ . وصلًا بما تقدم وعوداً الى ما كُتب ومن كَتَب حول الصف القتالي بعد خطّاب ــ قدر اطلاعي ــ آثرت أن اقول انّ أغلب من كتب اقتبس نصوص خطّاب نفسها مبنىً أو كاد أن يلمّ بها معنىً .

وفي جريدة المظان تبيان باسماء الكتب التي في أكبر الظن أن نصوصها تلامس معاني « الرسول القائد » مع الاشارة الى ارقام صفحات النصوص ذوات العلاقة القريبة[2] .

وحيث ان حركة العلم دائبة والنظريات العلمية عرضة للتحول والتغيير ، وحيال هذا الملحظ وفي مجال صيرورة الزمن أضيف الى ما تقدم اشارات الى نصوص أخرى ذات علاقة بموضوع الصف كُتبت قبل أو بعد صدور كتاب « الرسول القائد » ولم تتأثر به لكنها دارت في فلكه[3] .

٦ . ألّفَ العميد الركن سيف الدين سعيد كتاباً خصصه لنقد كتاب « الرسول القائد » نقداً مهنيّاً وعاماً ، أسماه « الحركات العسكرية للرسول الاعظم في كفتي ميزان » . وممّا جاء فيه : « اما عن ابتكار القتال باسلوب الصف في غزوة بدر القتال ... والاستشهاد بالآية الرابعة من سورة الصف ، فان في ذلك اكثر من نظر ... ولا يمكن القول أن الرسول ﴿ ﷺ ﴾ كان قد تعلم القتال باسلوب الصف ... أو عمل به استرشاداً بآية سورة الصف لنزولها بعد غزوة بدر القتال . وانّ قول المؤلف الكاتب محمود بأن اسلوب الصف يؤمّن العمق والاحتياط ويساعد القائد على معالجة المواقف الطارئة قول غير سديد من وجهة نظر العسكرية الحديثة . إنّ اسلوب الصف لا يؤمن العمق ولا الاحتياط ولا يساعد القائد على معالجة المواقف الطارئة .

كما ان الترتيب الذي افترضه المؤلف من ان (الرماحة) تكون في الصفوف الامامية وتكون (القوّاسة) من ورائها لا يمكن ان يكون ترتيباً عملياً في واقع القتال ... انّ الخيال لا تفزع من الرماح والسيوف بقدر ما تفزع من السهام ... ان تسديد النبال الى صدور خيل العدو هو اكثر تاثيراً من تسديدها الى العدو نفسه[4] .

* الذاكرة التاريخية

٧ . كثرة من النصوص المشار اليها في المتن الانف وفي جريدة المظان هي فقرات بعضها من بعض ، تظهر فيها ألفاظ متراكبة أو متداخلة كالصف والزحف والنظام والأسلوب والمبارزة والكرّ والفرّ والطريقة والترتيب وما الى ذلك . ولهذا سنمضي مع الذاكرة التاريخية لفرز الصف وموحياته ومتعلقاته عنها وعن صيغها المتداولة ، وجلاء معناه في معركة بدر الكبرى ، بدر القتال ، ونرى هل أن ما ذهب اليه استاذي الشيخ محمود شيت خطاب هو كلّ الصواب أمانّ لكل سيف نبوة ولكل عالم هفوة . وأنّ كل من أفاد منه أو نقل عنه جدة الصف على صورتها بلا ارتياب ولا احتساب لم يزد على ان سطر ألفاظاً منقولة عن كتاب في كتاب ؟ .

٨ . لمّا اجتمع الانسان باخيه الانسان نتجت ضرورات اجتماعية تكفل له الأمن والطمانينة والامان . ومن هذه ــ على سبيل المثال ــ ضرورات ثلاث :

عبادة الرب ●

الـدينُ في الارض نورٌ في بَصَائرنا
لَـــوْ لَمْ نَجِـدْهُ يقينـاً لابتكـرْنـاهُ

وعمادة الحب ●

الحبُ في الارض بَعْضٌ من تَصَوُّرنا
لـو لم نجـده عليهـــا لَاخترعنـاهُ

وريادة الحرب ●

الحربُ في الارض طَبْعٌ في تَعـامُلنا
لـو لم نجدْهُ كفاحاً لافتجرْنـاهُ

وهذه الخاصيّة الحربية لسنا بمضطرين الى افتجارها فقد

www.dorat-ghawas.com

افتجرها إبنا آدم منذ بدء الخليقة . وقد وردت قصتهما في القرآن الكريم على لسان احدهما قائلاً * لئن بسطتَ الي يدكَ لتقتلني ما أنا بباسطٍ يدي اليك لاقتلك إني أخافُ الله ربَّ العالمين * فجاءت النتيجة في قوله تعالى * فطوَّعتْ له نفسه قتل أخيه فقتله فاصبح من الخاسرين * فاليد من معانيها القوّة والسلطان والعضو الجسماني ، وربّما تجاوز المعنى هنا الى ما في اليد من سلاح كالحجر والعصا والعظم .

٩ . من المعلومات الواردة عن اساليب القتال في العراق القديم بين (٤٠٠٠ ق م — ٢٠٠٠ ق م) ما تمثل في المخلفات الفنية مثل (مسلة العقبان) وغيرها . وتشير تلك المنحوتات الى اسلوب القتال بالصف المُتراص أو ما يدعى بنظام الكراديس والتأهب الدائم للطعن بالرمح وربما عُززت تلك القوة بحملة القسي .[٥] ومن يتمعن في مَسلة العقبان يرى القائد المنتصر قد نظم جيشه على هيئة الصف (Phalanx)زمن حكمه (٢٣٧٨ ق.م) وما بعدها ، وقد تسلح جنوده بالرماح الطويلة وتحصنوا بالدروع . وهو نظام الجيش نفسه الذي اشتهر به الاغريق[٦] .

١٠ . وحدثتنا التوراة (العهد القديم) في سفر القضاة الذين حكموا بين (١١٢٥ ق.م — ١٠٢٥ ق.م) أنّ الصف كان مستخدماً في ذلك العهد وكما ياتي :

O خَرجت رجالُ اسرائيل لمحاربة بنيامين وأصطفَّ بنو اسرائيل للحرب عند جبع O فخرج بنو بنيامين من جبع فاسقطوا من اسرائيل في ذلك اليوم اثنين وعشرين ألف رجل O ثم تشدد الشعب رجال اسرائيل وعادوا وأصطفوا للحرب في الموضع الذي اصطفوا فيه أول يوم O[٧] .

* مطالع التعبية

١١ . اذا ما تناولنا مظاهر التعبية عبر الزمن ليتسنى ربط الأواصر باصولها القديمة باذلين في البيان جهد المُقل ، وراقبنا نظام الصف القتالي لرجحنا معركة (قادش) سنة ١٢٨٨ ق.م ضمن اوائل المعارك النظامية التي ابتدأ بها تاريخ الحرب باسلحة الصَّدْمة كالمُدية والحربة والسيف ، وباسلحة القذف كالرمح والسهم والمقلاع (المِحْذَفة) وقعت هذه المعركة بين فرعون مصر رمسيس الثاني والحيثيين . قاتل المصريون بجيش مُكتف مُكتفٍ ذاتياً من جميع الصنوف حتى راكبي العجلات ... وجاء بعدهم بالف عام اليونانيون والفرس[٨] .

١٢ . وفي العهد الآشوري الحديث (٩١١ ق.م — ٦١٢ ق.م) كان الجيش يتقدم على جبهة واسعة منتشرة في حرب السهول حيث يكون القتال داخل صفوف مُتراصة . ولعلّ منحوتات سنحاريب (٧٠٤ ق.م — ٦٨١ ق.م) التي خلفها في قصره في (تل قوينجق) في الموصل توضح لنا توزيع الصنوف والصفوف في الوحدة الآشورية عند قيامها بالهجوم ... ففي احد المشاهد نميّز مجموعة من المشاة في نَسق يتالف من اربعة جنود من حملة أتراس الحصار ومن اثنين من الرماة بينهما حامل ترس كبير ويلي ذلك عشرة صفوف في كل منهما جنديان من رماة النبال دون حماية ووراء هؤلاء ثمانية مقلاعيّين فتكون المجموعة مؤلفة من (٣٥) مقاتلاً أو اكثر[٩] .

وتبعاً لما تقدم الإلماع اليه من مرور السنين اقتبس اليونانيون نظام الجند المصري ونوّعوه . وأنشأ (اليونانيون — المقدونيون) تشكيل (الفلانك) يقاتلون بموجبه وهو أن تتراص الجنود صفوفاً متعاقبة[١٠] .

وهذا مكوّن من ثمانية صفوف من المشاة الثقيل تسنده مجموعة من المشاة الخفيف ، وأول معركة لهم مع الفرس كانت معركة (ماراثون) سنة ٤٩٠ ق.م[١١] .

وللصين في عرض الصفوف نصيب . كتب المفكر الصيني (صن تزو) كتابه (فن الحرب) سنة ٤٩٠ ق.م . وقد جاء فيه :

« القادة البارعون في فن الحرب ... يوزعون الجيش ويسيرون في صفوف منفصلة » . « اوعز القائد (تيان) الى زوجاته بالتطوع في صفوف الجيش . »[١٢] . « تحل اللحظة الحرجة عندما تنتظم صفوف العدو . »[١٣] « حينما تكون قوات عدوك منتظمة متحدة ، ازرع الفرقة في صفوفها . »[١٤] .

وفي سنة ٣١٧ ق.م كان القائد اليوناني الطيبي البربري (ايبامينونداس) يقاتل جيش اسبارطة[١٥] بجيش مؤلف من اربعة آلاف مقاتل مكوّن من (٤٨) صفاً في معركة (ليوكترا)[١٦] .

وعندما اصبح فيليب المقدوني ملكاً على مقدونيا سنة ٣٥٩ سنة ق.م نظم أول جيش في التاريخ القديم يجمع بين صفوفه المشاة والخيالة والعرّادون[١٧] . وجعله مؤثراً ، واوجد نظام الفلانك المختلف السلاح (الجحفل) المكوّن من ثمانية صفوف وكتلته زهاء (١٦٠٠٠) ستة عشر ألف مقاتل من المشاة الثقيل ، يتفرع الى ارتال مفردة ، عدد الرتل ستة عشر مقاتلاً يصطفون الواحد خلف الآخر . وهو أصغر وحدة قتال (حضيرة)[١٨] .

وعموماً لا عبرة للأرقام الصمّاء فانها تزيد وتنقص وتتغير بتغير معطيات ومتطلبات فن الحرب عبر الزمن .

www.dorat-ghawas.com

١٣ . ودارت الايام والتهمت روائق الشموس غواسق الليالي وأفضى عرش الفرس الى كسرى (أبرويز) فهاجم الروم واستولى على انطاكية ودمشق والقدس سنة ٦١٤ م واجتاح سوريا حتى بلغ مصر سنة ٦١٩ فتصدى له قيصر الروم (هرقل) بعد أن أصلح مجتمعه وسلح جيشه وأعدّه للظفر فاسترد الشام سنة ٦٢٥ م وانتصر على الفرس مشتتاً شمل جيشهم قرب نينوى سنة ٦٢٧ م[١٩] . وقد اشار القرآن الكريم الى هذين الحدثين بقوله تعالى * آلم * غُلبتْ الرومُ * في أدنى الأرض وهم من بعدِ غلبهم سيَغْلبون * الروم / ١ ــ ٣ . لقد كان قيصر الروم يقاتل باسلوب يعتمد نظام الصف أساساً . واستمر على هذا النظام حتى معركة مؤتة سنة ٦٢٩ م .

وهنا يطوف على السطح تساؤل مُلحٌ : هل عرف الفرس نظام الصف ؟ . والجواب بالايجاب حقيقة لا لبس فيها ولا ارتياب . نعم قد عرفوه ورسموه على جدران طاق كسرى مجسمين معركة انطاكية على عهد انوشروان .

وهذا الشاعر البحتري شاهد مُجسّمَ المعركة فقال :

فـــإذا مـا نظـرتَ صُـورةَ أنطـا
كيّـــة أرتمت بينَ رُوم وفُـــرسِ
والمنـــايـــا مَـواثِـلٌ وأنـوشِـر
وان يُزجي الصُفوفَ تحت الدّرفسِ

والمعتضدُ به الثاني معلومة تفيد أنه « لمّا التقى الفريقان الهياطلة والفرس وتصافوا للقتال ارسل ملك الهياطلة الى ملك فارس ان يبرز بين الصفين ليكلمه ... » .[٢٠]

١٤ . لنرجع القهقرى عائدين الى ما جرى في الهند بين صفوف قتال الوغى فنقل هذا الخبر : « إنّ منشأ الشطرنج كان في الهند ، وهو (شاتورنجا) باللغة السنسكريتية فى حدود سنة ٥٠٠ م ومنها انتقل الى فارس . وربما كان اسمه (جاتورنجا) اي لعبة حرب . قال الزمخشري: إنّ ملوك الهند كانوا حكماء ، لا يرون القتال وسفك الدماء . فوضعوا الشطرنج وكان اذا تنازع ملكان في كورة اصطف الجيشان وتقدم الملكان فلعبا في موضع الحرب بالشطرنج فالغالب منهما استولى على ما وقع عليه النزاع من غير قتال ولا سفك دماء[٢١] .

القتال عند العرب

٢٢ . عوداً الى المسار اللاّحب وانطلاقاً مع الزمن العربي المتعاقب وقبل أن نسلسل معطياته ندرج بعض ما كتب عنه وفيه . فقد كتب ابن خلدون حول اساليب الحرب في مقدمته ما نصه :

« اعلم أنّ الحروب لم تزل واقعة في الخليقة منذ براها الله وهي على نوعين ، نوع بالزحف صفوفاً ونوع بالكرّ والفرّ . أما الذي بالكرّ والفرّ فهو قتال العرب والبربر من أهل المغرب . وامّا الذي بالزحف فهو قتال العجم كلهم . وقتال الزحف أوثق وأشدّ من قتال الكر والفر وذلك لان قتال الزحف تُرَتَّب فيه الصفوف وتُسوَّى كما تُسوَّى القداح أو صفوف الصلاة ويمشون بصفوفهم الى العدو قُدماً . وفي التنزيل * ان الله يُحبّ الذين يُقاتلون في سبيله صفاً كانهم بُنيان مرصوص * أي يشد بعضه بعضاً بالثبات . وفي الحديث الشريف ، (المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً) . وأما قتال الكر والفرفليس فيه من الشدة ، والامن من الهزيمة ، ما في قتال الزحف .

ثم أن الدول القديمة الكثيرة الجنود كانوا يقسمون الجنود الى كراديس ويُسوّون في كل كردوس صفوفه ويَضمُّونَ المتعارفين بعضهم الى بعض ويرتّبونهم قريباً من الترتيب الطبيعي في الجهات الاربع ، مقدمة ، وميمنة ، وميسرة ، وساقة ورئيسهم في القلب أو قائدهم في القلب ، ويسمون هذا الترتيب (التعبية) . وصارت الحرب أول الاسلام كلّها زحفاً لانّ اعداءهم كانوا يقاتلون زحفاً فيضطرون الى مقاتلتهم بمثل قتالهم ولانّ الزحف هو أقرب للاستماتة ، وراسخ الايمان يستميت لما وُعد من نصر أو شهادة . ثم أبطل مروان بن الحكم الصفّ وصارَ الى تعبية الكراديس »[٢٢] .

وتتلخص طريقة الكرّ والفرّ عند العرب ـ عرب البادية ــ بان يكرّ المقاتلة على الخصم بكامل قوتهم ، فان صمد لهم العدو وأحسوا بالضعف فرّوا ثم أعادوا تنظيم أنفسهم من جديد وكرّوا كرّة اخرى ويستمر هذا الوضع من كرٍّ وفرٍّ حتى يتحقق لهم النصر أو الفشل[٢٣] .

٢٣ . وعرب البادية حروبهم بدائية يخرجون فيها للقتال على غير تعبية خاضعين في ذلك للنظام الذي يراه شيخ القبيلة . وكانوا في العادة يغيرون بغتة ثم يفرون الى البادية عند مطاردتهم . ولكن عرب المدن عرفوا نُظُمَ التعبية وتقسيم الجيش الى مقدمة ، ومؤخرة ، وقلب ، وجناحين . ورأيناهم في جاهليتهم في حرب الفرس يقسمون قواتهم الى كراديس حتى لا تفرقّهم سهام الفرس اذا وقفوا صفوفاً او في مكان واحد . وكانت المعركة في العادة تبدأ بطلب المبارزة من أحد الطرفين جرياً على عادتهم ، وذلك بان يخرج بين الطرفين فارس مشهور فيطلب مبارزة فارس مماثل له من الأعداء . وكان الغرض من تلك المبارزة إظهار المهارة الفردية والقوة البدنية وعرض الفن الحربي امام النظّارة ليخلع المبارز

www.dorat-ghawas.com

بفنه قلوب الأعداء ويقوّي به قلوب اصحابه . ثم أنها مما يحدث فيها من قتل متتابع تثير النخوة والاخذ بالثار فتجيش النفوس للقتال وتتحرق للطعان والنزال . واحياناً يتفق قائدا الجيشين على المبارزة الفردية الذاتية لحسم النزاع وحقن الدماء على ان يكسب القضية من يفوز منهما[٢٤] وقد تعاهد على ذلك الحارث والمنذر يوم (عين أباغ) وتفعيل هذه الواقعة ان سار المنذر بن ماءالسماء ملك العرب بالحيرة في (مَعَدّ) كلها حتى نزل عين أباغ وهو وادٍ وراء الانبار على طريق الشام وارسل الى الحارث بن جبله ملك العرب بالشام وقال له : اما أن تعطيني الجزية أو هي الحرب ؟ . فسار الحارث بجنوده وتقابل الصفان وارسل اليه من يقول له : انّا شيخان ، فلا تهلك جنودك وجنودي ، ولكن يخرج رجل من ولدي ورجل من ولدك فمن قُتل منهما خرج عوضه ولد آخر ، فاذا فني أولادنا خرجت انا اليك فمن قتل صاحبه ذهب بالمُلك ، فتعاهدا على ذلك[٢٥] .

٢٤ . ونتنقّل بما في مفصل الدكتور جواد علي عند الكلام على الحروب كما يأتي :

« يُظهر لنا الشعر الجاهلي أنّ الاعراب كانوا يخشون من الالتحام بالجيوش الآشورية والبابلية والرومية لتفوق تلك الجيوش عليهم ، فاذا تعقبتهم هربوا الى البادية حيث يجدون لهم عندئذ الماوى الصالح الأمين المناسب لهم للوقوف امام الجيش النظامي ، ويكون وقوفهم أمامه على هيئة كروفٍ وهجوم من جوانب مختلفة ، فان وجدوا جَلَداً من ذلك الجيش وقوة ضاربة ، هربوا الى قلب البادية[٢٦] . اما القبائل فقد كان المحاربون فيها هم الذين يُجهزون انفسهم بالسلاح وفيه العصي وحتى الحجارة[٢٧] . والغالب على اسلوب القتال عند الجاهليين الكرّ والفرّ وذلك بان يهاجم المحاربون عدوهم ثم يتراجعون بسرعة وكانهم فرّوا خوفاً منه (حركة استطراد) . ثم يعودون فيكرون عليه . ويعينون مكاناً يكون مركز ثقلهم فيه والملجأ لهم ، يلجئون اليه ثم ينطلقون منه للكر على العدو . وقد اتبعوا ايضاً اسلوب القتال صفوفاً ، بان يقف المحاربون صفوفاً يحاربون دون كرّ ولا فرّ . »[٢٨] .

٢٥ . ونتنقل مع المفصل عبر صفحات أخر فنسجّل : « نحن لا نكاد نعلم شيئاً عن أسس تنظيم الجيش في الحكومات الجاهلية لعدم ورود نصوص واضحة في ذلك . ولصلة ملوك الحيرة بالفرس وصلة ملوك الغساسنة بالروم لا يستبعد تدريب الفرس لجيش الحيرة وتقسيمه واعداده وفق نظم الجيوش الفارسية واساليبها على القتال . وتدريب الروم لجيش الغساسنة وفق انظمتهم وقوانينهم العسكرية . ولا يستبعد ان يكون تاليف الجيش في اليمن في ايام احتلال الحبش لها على هذا الاساس . وقد ذكر أهل الاخبار أن النعمان بن المنذر مَلَكَ خمس كتائب يحارب بها هي الوضائع والشهباء والصنائع والرهائن ودوسر . والكتيبة (الكوهورت) عُشر (الليجيون) عند الرومان ولذلك كان عددها يختلف حسب اختلاف عدد الليجيون ، وعلى الأغلب كانت بين (٤٠٠٠ — ٦٠٠٠) جندي . وقد كان عدد الليجيون (٦) ستة آلاف جندي في أيام الانبراطورية الرومانية ، وتقسم كل كتيبة الى عشرة أقسام ، ويسير هذا النظام وفقاً للطريقة العشرية في التقسيم . وترد لفظة كتيبة والجمع كتائب في الشعر الجاهلي تعبيراً عن تنظيم وتكتل في صفوف الجيش[٢٩] . ويقسم المحاربون قواتهم الى مجنبتين وقلب ، مجنبة يمنى تهاجم او تحمي الجانب الايمن ومجنبة يسرى تحارب وتدافع عن الجانب الايسر للمحاربين . اما القلب فيكون واجبه الهجوم والدفاع من وسط الجيش . وقد تقوم المجنبتان بالهجوم لتطويق العدو وحصره في دائرة ضيقة .

وفي يوم نخلة من أيام حرب الفجار كان حرب بن أمية في القلب وعبد الله بن جدعان وهشام بن المغيرة في المجنبتين . وتبدأ المعركة غالباً بالمبارزة بان يخرج من كل جانب محارب او اكثر من محارب يتبخترون تباهياً بانفسهم وقد يتحلقون ويتمطرون وينشدون شعراً يفاخرون فيه بانفسهم وأهليهم وقبائلهم وأنسابهم وأحسابهم . وقد يسأل المبارز مبارزه فاذا وجده غير كفء له انتقصه ورفض مبارزته . وتستمر المبارزة بين مُحاربين كفؤين او اكثر حتى تنتهي بالتحام قد يؤدي الى هزيمة أحد الطرفين وتراجعه الى مكانه فتنتهي بذلك تلك الحرب .[٣٠]

وقد يكون القتال صفوفاً بان يتقدم المحاربون فيحاربون صفاً صفاً وذلك اذا كان المحاربون كثيرين والى هذا النظام أشار القرآن الكريم ● ان الله يحب الذين يُقاتلون في سبيله كانهم بنيان مرصوص ● وقد كانت الخيل من جملة وسائل كسب الحروب وذلك لسرعتها ولما تحدثه تحركات المحارب على ظهرها من أثر في صفوف العدو تُشتتُ صولات وجولات الغرسان شملَ الصفوف ويُمزّقون الجمع ويمهدون لمن وراءهم من المشاة فرصة للانقضاض على الفارين المنهزمين . وكان الفرسان يستحبون فحول الخيل في الصفوف[٣١] .

وما اروع وابدع وانصع ما وصف القرآن المبين به سرعة عدو الخيل وشدته ، وتطاير الشرر من احتكاك حوافرها بالحجارة الصلدة كتطايره عند قدح الزناد ، وقد أغارت على العدو مع الصباح فاثارت الغبار في وجهه وتقدمت حتى احتلت وسط قلب خميسة .

www.dorat-ghawas.com

قال تعالى * والعادياتِ ضَبحاً * فالمُورياتِ قدحاً * فالمُغيراتِ صُبحاً * فأثَرْنَ به نقعاً * فَوَسطن به جمعاً * سورة العاديات .

ذخيرة مكتنزة

٢٦ . مما تقدم وسلفت الاشارة اليه أن (الصف القتالي) كان معروفاً عند الامم غير العربية كاليونان والرومان والصينيين والهندوس والروم البيزنطيين والاحباش وان المناذرة والغساسنة وعرب اليمن كانوا على احتكاك حضاري مع الفرس والروم والاحباش فاقتبسوا منهم نظام الصف في القالب ونشروه بين سائر عرب الجاهلية . والادلة على انتشار الصف القتالي في ايام العرب ما سنسترسل بذكره من مقتطفاتٍ منتزعة من بطون كتب التراث لتأييد ما ذهبنا اليه غير متجاوزين حدَّ البسط فما جاوز حدَّه جاور ضدَّه فلعلَّ ان يتأملها ويتملاها بعين الرضى من صفقت له آفاق التأمل ففيها ازاهير تسرّ الناظر وتعطر الفكر الفاتر وتجعل حبّ التراث عادة ودأبا .

٢٧ . نحن نعلم ، وبهذا قال المستشرق (كليمان هوت) والشاعر الالماني (جوته) والكاتب الروماني (كونستانس جورجيو) أنّ الطبيعة منحت العرب اشياء لا تكاد تفارقها في جاهليتها دعوناها سباعية الاعراب وهي : عِمامةٌ تُدار ، وسيف بتّار ، وخيمةٌ أسفار ، وفرس مغوار ، وجمل هدّار ، وترنيمة اشعار ، وعشق ذات اسوار . أمّا حديثنا فيختص بالسلاح واستعماله لا سيما السيف الذي هو سلاح الاشتباك القريب وهو العُدّة عند الشدّة لا يفارقه العربي إلّا بالموت واحياناً يدفن معه ميتاً ، قال المتنبي :

يُسابِقُ سَيفي منايا العبادِ
إليهم كأنّهما في رهانِ
سأجعلهُ حكماً في النفوسِ
ولو نابَ عنه لساني كفاني

وفي البيت الثاني نكتة شاعر متفاخر لا حكمة عاقل متفاخر فالحكمة توجب استخدام اللّسان قبل السِّنان ، وفي مثلها صرّح معاوية بن ابي سفيان بمقولته الشهيرة : « إني لأغمد سيفي ما ناب عنه سوطي ، وابعد سوطي ما ناب عنه لساني بنصح فتحذير ، وذلك بعض شاني . »

وحديثاً قيل : لا تُهيِّء مطرقة آلية لقتل بعوضة . ومرادنا هنا البيت الاول أصلًا المختص بالسيف المصاحب :

أما السيف الضجيج فقال فيه ابو العلاء المعريّ :

وضَجيعُ طِفلهم الحُسامُ فأنْ تَوَى
منهم فتىً فمع المُهَنَّد يُقْبَرُ

وأبْنَ أبو العلاء فارساً بطلًا كان لا يفارق سيفه رمزَ الجلاد والبأس والجهاد فقال :

هلّا دَفَنتُمْ سيفهُ في قَبْرِهِ
مَعهُ ، فذاك له خليلٌ وافِ

وللرمح قدر من التأثير المادي والنفسي وفيه قال حَجَلُ بن نَضلة القيسيّ عندما وصف بطلًا اسمه (شقيق) أحد بني عمرو إبن عبد قيس بن معن كان يجعل رمحه وهو راكب على فخذيه بحيث يكون عرض الرمح جهة العَدوّ إدلالًا بشجاعته واستخفافاً بمن يقاتلهم وثقة برمحه اللّدن[٣٢] .

جَاءَ شَقيقٌ عارضاً رُمحهُ
إنَّ بني عَمِّكَ فيهم رِماحُ

والعرب تقول لمن معه سَيفٌ سائف وسيّاف ولمن معه نَبلٌ نابل ونبّال ولمن معه رمح رامح ولمن قَرنَ نوعين من السلاح قارن ، فاذا كان ذا قلب شجاع شَملَهُ قول الشنفرى في لامية العرب :

وإنّي كفاني فقدُ مَن ليس جازياً
بحسنى ولا في قربهِ مُتعلِّلُ
ثلاثةُ إصحابٍ ، فؤادٌ مُشيَّعٌ
وأبيضُ إصليتٌ وصَفراءُ عَيطلُ

أي قلبٌ شجاع وسيف قطّاع وقوس مِطواع قرنتهما معاً فاغنوني عن التماس من لا خير فيه .

ويجمع ابو العلاء المعريّ الاسلحة الفردية كاملة في لزومياته فيقول .

إذا أصحابُ دينٍ أحكموهُ
أذالوا ما سواه وعيَّبوهُ
فمنْ سيفٍ ومن رمحٍ وسَهْمٍ
ونَصلٍ أرهفوه وذرَّبوهُ
حسبتم يا بني حَوّاءَ شيئاً
فجاءكم الذي لم تحسبُوهُ

ذاك مما قيل في السلاح . وقد الغى السلاح البعيد العدى بالعُدى فصارت تُراثاً عَبر المَدَى .

٢٨ . ذاك مما قيل في السلاح . أما الفرد المسلح بكامل الاداة والعدة والآلة من السلاح ولوازم الحماية الجسدية فيسمونه (المؤدي) أو (المُدَجَّج) أو (الشّاك في السلاح) . وقد خرج

www.dorat-ghawas.com

الرسول ﴿ ﷺ ﴾ الى غزوة أحد بكامل الاداة حتى قالوا فيه : « ولبس الرسول ﴿ ﷺ ﴾ لامته ودرعيه وأعتم وتقلّد سيفه وألقى التُرس على ظهره وركب فرسه وتنكب قوسه ومسك قناته (رمحه) بيده فجمع سائر الاسلحة الفردية وبدا لاهل المدينة محارباً كامل العُدة مقبلاً على المعركة بثبات وصدق عزيمة[٢٢] .

وأما الفرد الذي يأخذ ما قرب منه من السلاح والاداة لعَجلةٍ موجبة دون أن يستكمل العدة فيسمونه (المُستعير) .

٢٩ . وارتجاعاً بالذاكرة الى مهادٍ مُشادٍ في حقبة الجاهلية وعرضه في المخيلة مع مشابهات اسلامية نختار منهما ما جاء عن اسلوب القتال الفردي ثم القتال بنظام الصف في تلك الاحيان .

فهذا الجونُ النُمريّ قد أَسَرَ حارثةَ بن عمرو بن ابي ربيعة بن ذهل بن شيبان . فغلب الملك المنذر على الجون وأخذ منه حارثة فقتله . وادّعت بنو شيبان أن الجون قتله فقال الجون يصف حال النزاع ومراحله بتتابع دقيق حسب تسلسل التطبيق[٢٤] .

مَنْ مُبلغٌ شيبانَ أنّـ
ـي يكن أمري خَفيّا
راميتُهُ حتى اذا
ما كان نَبلانا نَفيّا
طاعنتهُ حتى اذا
ما كان رمحانا شَظيّا
ضاربتهُ حتى اذا
ما كان سيفانا حَنيّا
أثخنتهُ غَلباً وكا
ن مُمنّعاً قِدماً أبيّا
أعطيتُهُ رَحلي ورا
حِلتي وكُوراً حميريّا

وهذا زهير بن أبي سُلمى يختصر كل ما فصله الجون في بيت واحد فقط[٢٥] .

يَطعنهم ما أرتموا حتى إذا أطّعنوا
ضَاربَ حتى إذا ما ضاربوا أعتنقا

ان هذا المقاتل الكميّ يستغلّ وقت تراشق قومه والاعداء بالنبل فيندفع الى الاعداء ليطعنهم فاذا انتهى وقت التراشق وتحوّلوا الى الطعان بالرماح سبقهم الى أمام مضارباً بالسيف . فاذا ما ضاربوا بالسيوف كان هو معانقاً خصمه وطارحه أرضاً فاما أسراً إن استأسر وإما القتل .

٣٠ . وفوق ذا صورة منصفة رسمها الشاعر الجاهلي عبد الشارق ابن عبد العزى الجهني فقال[٢٦] .

فلما أن تواقفنا قليلاً
أنخنا للكلاكل فأرتمينا
فلمّا لم نَدَع قوساً وسهماً
مشينا نحوهم ومَشوا إلينا
فآبوا بالرّماح مُكسراتٍ
وأبنا بالسيوف قد أنحنينا

فربما كانت هذه المواقفة للمناداة على الابطال وطلبهم للمبارزة واعتراضهم بين الصفين قبل كل شيء وقبل مشي الصفين المتقابلين كل نحو خصمه . وفي هذا المبنى الجميل مَعْنى جليل ينصف به عدوّ قومه مع ذكر تميّز شجاعة قومه على عدوهم ، فقد قال : تقابلنا فانخنا ما ركبنا فتراشقنا بالسهام حتى تقطعت أوتار القسي ونفنت السهام بعد أن نفذت في أجسام أهل الخصام فوجب علينا وعليهم أن نتزاحف فتزاحفنا وكانت الملحمة التي كنّا فيها اكثر شجاعة من خصمنا ، فقد طعنونا بالرماح حتى تكسرت في أيديهم ، ولكننا ضربناهم بسيوفنا حتى انحنت في ايدينا ، وشتان بين ضاربين وطُعّان فنحن اسرع اليهم في المعمعان ، وتلك ميزة لنا نحن اشجع الشجعان .

كذلك أنصف الحصين المُريّ عدوّ قومه ببيت شعر وجيز[٢٧] .

نُطاردهم نَستودعُ البيضَ هَامهُمْ
ويَستودعون السُمهري المُقوّما

بيت شعر وجيز فائق نو معنى رائق يَدلّ على تقدمهم وتاخر خصومهم في الاشتباك .

الصف القتالي قبيل الاسلام

٣١ . نتحول بعدما عرضنا من صور قتالية جليّة متنوعة الى الصف القتالي العربي في إرهاصه وتتاليه ونفيض من حيث أفاض الاقدمون حتى نصل الى عهد الرسول ﴿ ﷺ ﴾ لا سيما الصف القتالي في معركة بدر فنتعرف على جِدتهِ من قِدمهِ استناداً الى معطيات تراثية تحقق التطبيقات الوافية لانه اذا اختلّ المبنى اعتلّ المعنى ومرادنا العافية من غلط في السطور أو شطط في المنظور .

جاء في لسان العرب لابن منظور تحت مادة (صفف) :

الصف : السطر المستوي من كل شيء ، جمعه صفوف وهو معروف .

www.dorat-ghawas.com

وصففتُ القوم فأصطفوا :

اذا أقمتهم في الحرب صفاً .

وصَفَّ الجيشَ يصفه صفاً وصافةً فهو مُصافٌ اذا رتَّب صفوفه في مقابل صفوف العدّو .

والصَافّ : بفتح الميم والصاد وتشديد الفاء ، جمع مَصفٍّ ، وهو موضع الحرب الذي تكون فيه الصفوف .

وجاء تحت مادة (نتل) : إستنتلّ من الصف اذا تقدم اصحابه واستعد لقتال خصمه . وفي حديث ابي بكر الصديق (رضي الله عنه) أنّ ابنه عبد الرحمن برز يوم بدر مع المشركين فتركه الناس لكرامة أبيه . فنتل ابو بكر ومعه سيفه ؛ أي تقدم اليه . ويقال لمُقدمة الجُند النَّاتل .

٣٢ . وجاء في المخصص لابن سيده[٣٨] .

يقال : تقوضت الصفوف اذا انهزمت . وزعموا أنّ اعرابية قالت لولدها : اذا رأت العينُ العَينَ فدَغراً ولا صَفاً . تقول اذا رأيتم عدوكم فأدغروا عليهم ــ أي احملوا ــ ولا تصفّوا صفاً ، وهي الدُّغرى أي الاقتحام ، فلا سعة في الوقت كما أنّ الصف يكشف المباغتة ويبددها . إنّ هذه النصيحة القيمة تتضمن معنى تفويت الفرصة على العدو ومع كسب الوقت واستغلال المفاجاة بالاقتحام الفوري ومباغتة الخصم لانّ المباغتة تشل اكبر العقول وعياً عن أن يُبدعَ وتنفضُ الخَلَدَ ممّا أستودعَ .... وربّ سائل يسأل : هل للمرأة شان في دقائق أمور الحرب ؟ نقول ؛ نعم .

وهذه امرأة أخرى ، قال لها ولدها : أماهُ إنّ سيفي قصير . فتجيبه : أضف اليه خطوة !

وينظم هذا الجواب الأخنس بن شهاب التغلبي الجاهلي شعراً وينشد :[٣٩]

وإن قَصـرَتْ أسيافُنـا كـان وَصلُهـا

خُطـانا الى القـوم الـذين نُضـارِبُ

وتبعه كثير من شعراء الحماسة والفخر يلونون هذه الصورة بالوان رائعة . فالفارس ربّما أفاد عن قِصَرِ سَيفه ليخبر عن فضل نجدته ، وربّما زاد في طول رمحه ليخبر عن فضل قوته قال حاتم الطائي :[٤٠]

وأسمـرَ خطّيـاً كـأنّ كُعـوبَـهُ

نوى القَسب قد أُريى ذراعاً على العَشرِ

ومن الطُّرفِ الملاح نذكر أنّ المتوكل أمر مرةً صاحب خزانة السلاح أن يبتاع ألف رمح طول كلّ رمح أربعة عشر ذراعاً . فاستفسر صاحب الخزانة بقوله : هذا الطول فكم يكون العرض ؟ فضحك الناس ولم يفطن لما غلط فيه .[٤١]

٣٣ . يشرح المهلب بن ابي صفرة ، شيخ العراق والقائد الفنان ، في محاورة بينه وبين أحد الفتيان من بني قومه الأزْد ، غاب عني مصدرها فاكتبها من حفظي والالفاظ تزيد وتنقص عن كمال النّص .

قال الفتى الازدي للمهلب : كيف ترى سيفي هذا يا عم ؟

أجاب المهلب : جيد ، إلّا أنّه قصير . قال الفتى : لا ضَير ... أصِلُهُ بخطوة .

تبسّم المهلب شجاع القلب وقال : يا أبن أخي .. السير على أنياب التِّنّين من جبل حمرين الى أقاصي الصين أسهل من تلك الخطوة الضّنين لانها خطوة الصناديد فحسب ... ولم يقل المهلب جملته تلك عن زَهدٍ وانما اراد توجيه الصورة عن كَثَبٍ .

وفي حرب البسوس التي دامت زهاء اربعين سنة (٤٩٠ ــ ٥٢٥ م) وفي آخر أيامها المسمى بيوم (تَحْلاقِ اللِّمَمِ) ما أنْ اشتجرت الأسنة ونفذت السيوف واعتنقت الابطال بعضها بعضاً وكادت قبيلة (تَغلِبَ) تَغلِبُ حتى حَسَرَتْ فتاتان بكريتان خماريهما ونفذتا بين صفوف قومهما تذكيان نار الحفيظة باشعار الحماسة . واقبلت من ورائهما كَرمة بنت ضلع أمّ مالك بن زيد فارس بكر وواحدها فانشدت الرجز المشطور المتداول إنشاده في اكثر أيام العرب وتَرَنّمت :

● نحنُ بَناتُ طارق ● نمشي على النّمارِقْ ● والمِسكُ في المفَارِقْ ● مَشيَ القَطا النّواتِقْ ● إن تُقبلوا نُعانقْ ● ونَفرشُ النّمارِقْ ● أو تدْبروا نُفارِقْ ● فِراقَ غَيرِ وامِقْ ● عُرسُ المُولّي طالقْ ● والعارُ منهُ لاحِقْ ●

فلم يلبث القوم أن تدافعوا وراءهنّ على اعدائهم واقتحموا صفوفه واستباحوا معاقلهم وباتت تَغلبُ بين نحير ويسير وانتصفت بكر منها[٤٢] .

وذكر الآلوسي أنّ من مذاهب العرب واعاجيبها انهم كانوا في الحرب ربما أخرجوا النساء فبُلِّنَ بين الصفين ، يرون أن ذلك يطفيء نارِ الحرب ويقودهم الى السلم[٤٣] . قال بعضهم ؛

لَقـونـا بـأبـوال النِّسـاء جَهَـالـةً

ونحن نُـلاقيهم ببيضٍ قـواضبِ

وقال آخر :

جَعلـوا السيُوفَ المشـرفيَّةَ منهم

بَـوْلَ النِّسـاء وقَـلْ ذاك غَنَـاء

والذي أراه في تعليل ثانٍ عقلاني أنهم يوحون الى اعدائهم

www.dorat-ghawas.com

بانهم أهون عليهم من نُفاية مئانة ، لا وزن لهم ولا مقدار فتنخفض بهذا معنويات الاعداء وتنهار وترتفع معنويات الطرف الآخر . وربما في تعليل ثالث يريدون أن يُعلموا اعداءهم ــ وهم عرب من سنخ واحد ــ أنّ الحرب قذرة كقذارة البول وتَركُها أفضل للطرفين وأسلم فالحرب مأيَمَةٌ تقتل الرجال وتترك النساء بلا أولياء . ولعلّ تعليلًا آخر أراه أوفر حظاً ، أميلُ اليه وأرتضيه لنفسي ويسرني أن يؤيدني فيه القارئُ المُسامِرُ . يعتمد التعليل على ان من معاني البول كما انكتب في لسان العرب معنى الوَلَد ، فهم يأتون بالحُبالى ليَضعْنَ اولادهنَّ بين الصفين لعرض صورة انسانية واقعية تفيد أنّ الحرب زبون طحون ومن الحكمة أن يستعط الطرف المقابل وكانهم يقولون :اتُّعظوا يا ابناء عمومتنا ، واجنحوا للسلم يا أقربون ، أترضون أن ندفع للموت ما تلد الوالدات ؟ أترضون أن يشقى اللّدات والآباء والأمهات وتضطرب الحياة

٣٤ . واذا ما اقتربنا مزيد اقتراب من مطلع القرن السابع الميلادي ، وكانت البعثة النبويّة المحمدية سجّل التاريخ اخبار يوم (ذي قار) وهو يوم لبكر على العجم . وقد رُوي عن النبي ﴿ ﷺ ﴾ أنه قال : « اليوم اول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبي نُصروا . » وعندما أقبلت الاعاجم نحو بكر يسيرون على تعبية وصافوا بني شيبان ، وكان ربيعة بن غزالة السكوني نازلًا هو وقومه في بني شيبان فنصح لهم وقال : يا بني شيبان ... لا تستهدفوا لهذه الاعاجم فتهلككم بنشّابها ، ولكن تكردسوا كراديس فاذا أقبلوا على كردوس شَدّ الآخر .

فقالوا : قد رأيت رأياً[٤٤] وما أنْ عزم العرب على خوض المعركة حتى ضرب حنظلة بن ثعلبة قُبّةً على نفسه في بطحاء ذي قار وآلى الّا يفرأ وتفرّ القبة . وقامت النساء بتحميس المقاتلين فانشدت ابنة القرين الشيبانية :[٤٥]

ايهاً بني شيبانَ صَفّاً بعد صَفْ
إن تُهْزَموا يُصَنَّفوا فينا التَلَف

وأنشدت صفية بنت ثعلبة الشيبانية :

ايهاً بني شيبانَ صَفاً بَعدَ صَفْ
مَنْ يُرد العَلياءَ لَمْ يَخشَ التَلَفْ
إنّ الشُجاعَ باسِلٌ فيه الصَلَفْ
اليوم يوم العزِّ موصوف الشَرَفْ

وهي أرجوزة تنوف على عشرة مقاطع .[٤٦] وانشدت هند بنت طارق بن بياضة تحمس قومها قبيلة اياد :

● نحن بنات طارق ● نمشي على النمارق ●

وهي الارجوزة التي ذكرناها من قبل بانشاد كرمة بنت ضلع في حرب البسوس ، ثم ممن انشدها لاحقاً هند بنت عتبة زوج أبي سفيان في معركة أحد تحرّض الكفار على قتال المسلمين .

وضلّت ممارسة القتال بترتيب الصف قائمة بعد الاسلام زمناً بعيداً ، ونستشهد لها بشعر أبي الشيص الخزاعي في مطلع الدولة العباسية يرثي بطلًا من الابطال .[٤٧]

خَتَلَتْـهُ المَنـونُ بَعْـد أختيـالٍ
بين صَفَّين مِنْ قنـاً ونِصـالِ
في رداءٍ من الصُفيـح صَقيـلٍ
وقميصٍ من الحَـديـدِ مُـذَالِ

صور فنية شتّى

٣٥ . يبهجني ضمن هذا الأفق الرحب ، وقبل الانتقال الى مناقشة صفوف غزوة بدر القتال ، أنْ أعرض صوراً فنية شتى فيها ما يوفر منظوراً ميدانياً اصيلًا لتسليح المقاتلين وفدون قتالهم وشكل تعبيتهم ، كل اولئك معطوفاً على حكمة وحنكة قادتهم الذي يتجنبون الحر إلا اضطراراً ويتحاشون الظلم أنفةً وأقتداراً . لنستمع ونتامل معاً البيت الشعري الذي أطلقه زهير بن ابي سلمى بين ابيات معلقته الحافلة بالحكمة والفيّاضة بالتجربة والمليئة نصحاً وارشاداً ، ونتولّى شرحه :

ومَنْ يَعصِ أطرافَ الزِجاجِ فانَّهُ
يُطيـعُ العَوالي رُكّبَتْ كُـلُ لَهْـذَمِ

أجاد الشاعر برسم صورة تتجلّى روعتها بالتعرف على بعض معاني مفردات البيت الرفيع .

الرمح : سلاح يستعمل لطعن العدو ، وربما زاد طوله على عشرة اذرع . وثعلبُ الرّمح ما دخل منه في السنان . وتحت الثعلب العامل وهو ما تحت السنان الى مقدار نراعين . ثم العالية وهي الى قدر نصف الرمح ، وتجمع على عوالٍ . وما تحت ذلك الى الزجّ يُسمّى السافلة . والزج هو الحديدة التي في اسفل الرمح ، وتجمع على زجاج (بكسر الزاي) . واللّهذم هو السِّنان القاطع أو النصل . وفي البيت الشعري تمثيل يفيد أنّ من لا يقبل الامر الصغير يضطر الى أن يقبل الامر الكبير ، والخطر يكمن في مُستصغر الشّرر ان لم يتداركه الحكماء بحسن النظر ودقة المعالجة . واللوحة الفنية التي تحتجنها المخيلةللّمسات الفنية لهذا البيت تتداعى عن قبيلتين أو أدنى ، أو فئتين تنازعتا على

www.dorat-ghawas.com

قضية عويصة تحتاج الى حلّ حاسم ، فتفزع كل فئة الى اسلحتها الكاملة ويتدجج افرادها بما يستطيعون من مظاهر القوة لعرضها قبالة انظار الفئة الاخرى . ويصطفون صفوفاً متراصة متقابلة وبينهما فسحة وقد وجُّهوا زِجاج رماحهم تجاه خصومهم علامةً للسلام وايذاناً بتحبيذه وتفضيلًا للمُحاجزة قبل المناجزة مع ادامة حوار هادف وجدال بالتي هي أحسن وتغليباً للحكمة التي ديدنها إنجاح عملية التفاوض . ويقف بين صفوف هؤلاء وصفوف اولئك الشيوخ واهل الرأي الحكماء والرؤساء ، وتطرح بينهم حيثيات القضية العويصة . فان توصّل الطرفان الى حلٍ مقنع لكليهما عاد من حيث أتوا.

وان كانت الاخرى قلبوا الرماح فارتَدَّتْ السَّوافِل والزِّجاج الى خلف وبرزت العوالي واللَّهانم الى امام علامة نشوب الحرب والاحتكام الى القوة . وهذا ما تاباه الحكمة وتنشر خلاصة رأيها بجملةٍ تنفع أنْ ترفعَ شعاراً ● مَنْ لم يقنعْ بآلاء الصُلحِ يَخضعْ لأسْواء الرُمحِ ● وأعجبت هذه الصورة الفنية كُثير عزّة الخزاعي فالمّ بها ونسج على منوالها حين قال بعد قرن ونصف تقريباً .[٤٨]

ومُلتمسٍ منّي الشكيّـــــة غَـــــرَّهُ
لَيَـــانُ حـواشي شيمتي وحَمـــالُها
رَميتُ بـاطـرافِ الـــزِّجاجِ فَلَمْ يُفقْ
عن الجهْـلِ حتى حَلْمتهُ نِصـالها

٣٦ . حان الآن طيّ الايام والقفز الى صدر الاسلام لنقرأ ما كتب التاريخ عن فقرة من مخاطبة الرسول الامين ﴿ ﷺ ﴾ لوفد بني الحارث بن كعب حين سالهم : بما كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية ؟ .. ويرسمُ صورة سؤال النبيّ الاكرم والجواب المحكم لسانُ الشاعر المعاصر احمد مُحرّم .[٤٩]

بمَ كنتم في الجاهليّة تَستقـ..
..ـلـــونَ حين يَحمى الضِّـــرامُ ؟
فـــاجـــابـــوهُ نلكم أنّنـــا كُنّـ...
...ـا جَميعـــاً تَضُمُّنـــا الأرحَـــامُ
صَـــادقي البـــاسِ للقلـــوبِ أتّحـــادٌ
حين نمضي وللصُفـــوف ألتئـــامُ
ثُمَّ كُنّـا لا نبـدأ النّـاسَ بـالظّلْـ...
...ـم ، نَعَـافُ الـذي يَعَـــافُ الكِرامُ
نكـــرَةُ الشَّـــرِّ قـــادرين ونـــابـــا
هُ ، وللشـــرِّ في النفـوس أضطـرامُ

ذلك مما حكاه لنا التاريخ عن حال الجاهلية عند القتال . فماذا حكى لنا عن صفوف القتال بعد الجاهلية ؟ ليكن لنا رديف من الصور التي تحيل نصوصها المخصوصة الى مصادر موثوق بها لعلّ في الاطلاع عليها متعة وفائدة لاسيما لمن فاته شيء منها ، ومن بَعدُ ننتقل الى ذكر صفوف غزوة بدر التي من أجلها كان هذا المقال ، وسنفرد لها مجالًا مبسوط المهاد لايضاح ملابسات الاصطلاح .

انَّ الطعن بالرمح والضرب بالسيف يحصلان في المدى القصير ولا يحتاجان الى فضل بيان . أمّا النبل فالرمي به يكون الى مديات بعيدة بمئات الأذرع وهو السلاح الذي يرهب الخيل كما يرهب الخيّال ويخيف الحاسر والدارع والمعطل لأنَّ اكثر رماة النبل مَهرةٌ مقتدرون على اصابة الاهداف النقطوية لتوالي الممارسات . وقد اشتهر بعض هؤلاء بصفة (رُمَاة الحَدَق) أي الذين لا يخطئون إصابة حَدَق العيون .[٥٠] ويبرز سؤال في هذه الحال : أيهما أفضل رمي النبل على الفارس أم على الفرس ؟ ولعلّ الجواب أنَّ توخي الاجناد أفضل من توخي الواد غير أنَّ الصواب هو أنَّ لكل حال معالجة مختصة بها ولكل موقف حساب . أوصى الرسول ﴿ ﷺ ﴾ عبد الله بن جبير قائد رماة مرتفع عينين الخمسين في غزوة أُحُد بقوله : « إنضح الخيل عنا بالنبل لا ياتونا من خلفنا . »[٥١] ولنُصغِ الى شاعر نبّال ماهر يثني على مهارته وحذقهِ في انفاذ أسهمه عبر حَلَق الدروع :[٥٢]

سَلُوا حَلَق المازنيّ عَنْ حَدّ أسهمي
فقـد تَلَمَتْ حَـدَّ القنـــا والقَـواضبِ
تُخبـــرُكُمُ إني إذا الخيـــلُ أوجفتْ
شَريكُ المنـــايا في نفـوس الكتائبِ

وقال آخر :

الـــويـــلُ مِن النَّبـــلِ الـــويـــلْ
مـــا يَفتَـــأُ عَقّـــارَ الخَيْـــلْ

وقال المتنبي :

نَرمي نَواصي الخيلِ بأسمِك في الوَغى
بـــأنْفَذَ مِنْ نشّـابنـا ومن النَّبـلِ[٥٣]

قيل النبل سهام العرب والنشاب سهام العجم . والأرجح أنَّ النشاب عربيّ ماخوذ من : نَشبَ في الشيء : عَلق به .
وفي لزوميات أبي العلاء المعري وَصفٌ للطرف (الفرس الكريم) وقد صار شبيهاً (قنفذاً) من كثافة النبل .

www.dorat-ghawas.com

أتنكرِ يا طِرِفُ الوغى وركومَها
وقد صرّتَ من نَبْل كانك شَيهمُ
إذا أشرعتْ فيك الأسنةُ زَدّها
لصونِك تجفافٌ عن الطعن مُبهمُ
إذا ما تَدانوا فالضِّرابُ صِفاحُهُمْ
وإن يَتناؤا فالرِّسائلُ أسهُمُ

وبعد كلّ ما ذكرنا عن الحرب والقتال في العصر الجاهلي فانّ الادعاء بعدم معرفة العرب الصف القتالي قبل الاسلام وهَمٌ لا يثبت عند نظرة فاحصة محققة في التاريخ والممارسات في الجاهلية ولعلّ في هذا الحكم ظلًا من الخطأ الطفيف على الرغم من استناده الى نصوص عدّة وارتكانه على شواهد سليمة من آفة الزّيغ والميل والتنطع . كما أنّ التجمُّلَ بالحق المطبوع أزكى من التعلل بالرفق المصنوع .

الصف والزحف في صدر الاسلام

٣٧ . لا خلاف في أنّ الصف والزحف معروفان في العصر الاسلامي بدأةً وتتابعاً ومن الأمثلة ما دوّنه الثعالبي في كتابه (المتشابه) من نصوص اسلامية العهد حيث كتب : « ... وأمَرَ بتسوية الصفوف التي لا خَلَلَ لها ، وزحف اليهم زحفاً ملأ قلوبهم رجفاً .»[٥١] واراد بالخلل جمع خِلّة وهي جفن السيف المُغطّى بالأدم .

وأعتقدت أزدة بنت الحارث بن كَلَدَةَ ، زوج عتبة بن غزوان عند مهاجمة مدينة الفرات لواءً من خمارها ، واتخذت النساء المسامات رايات من خمورهن ومضين وهي امامهن تنشد :[٥٢]

ياناصري الاسلام صَفّاً بعد صف ● ان يهزموكم ..... ●

وقال ابو دجانة الانصاري في غزوة أحد سنة ٣ هـ يذكر الكيُول الذي هو آخر صف من صفوف المعركة :[٥٦]

أنا الذي عاهدني خَليلي
ونحن في السُفْح لدى النَّخيلِ
ألّا أقومَ الدَّهرَ في الكيولِ
أضرب بسيفِ الله والرَّسولِ
ضَرب غُلام ماجدٍ بَهلولِ .

ومدَح أبو العتاهية القائد المُتمرس يزيد بن مزيد الشيباني بقوله :[٥٧]

كأنّك عند الكَرّ في الحرب إنّما
تَفِرُّ مِنَ الصَّفِ الذي من ورائكا
فما آفةُ الأبطالِ غيرك في الوَغى
وما آفةُ الاموالِ غَيرَ جبانكا

كان ما سلف آنفاً اختياراً اثبتناه من بعض الامالي دعماً للصف القتالي عبر الايام والليالي يوعزه ما نريد بسطه حول غزوة بدر بغية الاحاطة وليتسنى لنا الأجابة عن سؤالين أساسيين .

الاول : أحقاً أن المسلمين ابتكروا الصف القتالي في غزوة بدر ؟ والثاني : أكانت قريش تجهل نظام الصف وانها بوغتت به فعلًا في غزوة بدر نفسها ؟

نبدأ البسط بقوله تعالى * اذ أنتم بالعدوة الدُنيا وهم بالعودة القصوى والرّكب أسفلَ مِنكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولًا ... *

انن حدثت المعركة بقضاء الله . ثبُت التوقيت وحدد الميدان وقدر ان تفلت قافلة أبي سفيان . فظهرت لنا ثلاث فئات ، المسلمون في جانب من الميدان ، والمشركون في الجانب المقابل ، والركب (القافلة التجارية) في الطريق الساحلي مُتملِّصةً باتجاه مكة بأمان . واليوم هو الجمعة (١٧) رمضان من السنة الثانية الهجرية على صاحبها ﴿ ﷺ ﴾ أزكى السلام وأرق التحية ، الموافق (١٤) آذار من سنة ٦٢٤ ميلادية .

٣٨ . كانت غاية المسلمين الظاهرة لمّا فصلوا من المدينة نَفلَ العير وليس مِقاتلة النفير لذا تَخلّف قوم من أهل نياتٍ وبصائر لو ظنوا أنه يكون قتال ما تخلفوا لكنهم زهدوا في النفل ، فبات عدد المقاتلين ثلاث مئة وبضعة عشر رجلًا فيهم المهري والقارن والمستعير . وممهم فرسان اثنتان لانّ الرسول ﴿ ﷺ ﴾ ندبهم لنقل القافلة المحروسة باربعين رجلًا ، والسرعة في الخروج حيوية لئلا تفلت القافلة فخرج بمن كان مستعداً من فوره فقط .

وكان المشركون على تمام الأهبة دفاعاً عن المال وللعصبية الجاهلية والحفاظ على المراكز العلية وعدد مقاتليهم سبع مئة أو يزيدون بعد انفصال ثلاث عنهم في الطريق وهم بنو زهرة وكان مع العشركين سبعون فرساً في أقلّ تقدير ، أيّ أنهم زهاء ثلاثة أضعاف رجّالة المسلمين عدا التفوق الساحق بالخيالة . ولدينا من المصادر ما يفيد أنّ المشركين يعرفون الصف القتالي ولا يجهلونه وقد صافوا المسلمين متقابلين ودونكم البيان :

روى الامام احمد بن حنبل في مسنده ما يخص صفّي بدر نقلًا عن الامام علي ﴿ كرم الله وجهه ﴾ أنه قال :

www.dorat-ghawas.com

«صَلّى بنا رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ الفجر وحرّض على القتال ثم قال : انّ جمع قريش تحت هذه الضلع الحمراء . من الجبل ... فلما دنا القوم منّا وصافقناهم اذا رجل منهم على جمل أحمر ... وهو عتبة بن ربيعة ينهي عن القتال » وجاء أيضاً في رواية لابن مسعود أنّ النبي ﴿ ﷺ ﴾ قال : « رُبَّ قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته . »[٥٨] ونصّ ابن هشام في السيرة النبوية على أنّه ، بعد قتيل الحوض الأسود المخزومي ، خرج عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة ربيعة وابنه الوليد بن عتبة حتى اذا فَصَلَ من الصف دعا الى المبارزة[٥٩] وروى الواقدي عند الكلام على غزوة بدر الحادثة الآتية :

وكان علي ﴿ كرم الله وجهه ﴾ يقول : « إني يومئذ بعد أن ارتفع النهار ونحن والمشركين قد اختلطت صفوفنا وصفوفهم ، خرجت في أثر رجل منهم ... »[٦٠] . وروى زيني دحلان حادثة اخرى قال : قال الرسول ﴿ ﷺ ﴾ مَنْ لَه عِلْمٌ بنوفل بن خويلد ؟ قال عليّ ﴿ كرم الله وجهه ﴾ : أنا قتلته . فكبّر الرسول ﴿ ﷺ ﴾ وقال : « الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه » . فانّه لمّا التقى الصُفّان نادى نوفل بصوت رفيع : يا معشر قريش اليوم يوم الرفعة والعُلى ! فقال الرسول ﴿ ﷺ ﴾ : « اللهمّ اكفني نوفل بن خويلد . »[٦١] .

٣٩ . وهذا موقف سُراقة بن مالك بن جُعشم الكناني أحد شياطين الانس . طمأن قريشاً حين خرج معها من مكة الى بدر أن لا خوف عليهم من قبيلة كنانة وتراءت الفئتان والتقى جمع الكفر وجمع الايمان ، ووضع سراقة يده بيد الحارث بن هشام ولسانه يلهج بقدرة المشركين على النصر والغلبة ، بيد ان الاحداث سارت على غير ما تشتهي الفئة الكافرة وتحقق له عين اليقين أنّ النصر صائر للمسلمين ، فنزع يده من يد الحارث ونكص على عقبيه وتبعهُ قومه ــ أو جنده الشياطين على رأي آخر ــ فناداه الحارث : يا سراقة أتزعمُ أنك جارٌ لنا ؟ قال سراقة :

إني بريء منكم إني أرى ما لاترون . قال الحارث : انك بفعلتك هذه خَرَّقْتَ الصَّفَّ وأوقعت بنا الهزيمة ... »[٦٢] . ويعلّق الشاعر الرصافي على هذه الحادثة بقوله : إنّ الرواة يقولون إنّ الذي فعل ذلك شيطان الجن ابليس ، وانا لا ادري لماذا يخذل ابليس الكفار ليغلب المسلمون[٦٣] ؟ . اي بمعنى اكثر وضوحاً إنّ الشيطان لا يُخرِّبُ عشّهُ ولا يُقرِّبُ نَعشَهُ . قال تعالى في التزيين والدماءة والنكوص * وإذ زيّنَ لهُمُ الشيطانُ أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من النّاس وإنّي جارٌ لكم ، فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انّي بريءٌ منكم أني أرى ما لا ترون إنّي أخافُ الله والله شديدُ العقاب * الانفال / ٤٨ .

صَافّات وصَافّون

٤٠ . وردت كلمة الصف في القرآن الكريم في تسع آيات ضمن ثمان سور ، وردت مفردة وجمعاً . ففي الآية (٤٨) من سورة الكهف * وعُرِضُوا على رَبِّكَ صَفّاً ... * أي مصطفين كل أمّةٍ صف . فلنتصوركم هي كتلة هذا الصف ! . وفي الآية (٦٤) من سورة طه * فاجمعوا كيدكم ثمّ ائتوا صفاً ... * حثُّ سَحَرَةُ فرعون بعضهم بعضاً على الانتظام والتعاضد والتجمع . وفي الآية (٤١) من سورة النور * ألَمْ تَرَ أن الله يُسبّحُ لهُ من في السّماوات والأرض والطيرَ صافّاتٍ ... * باسطات اجنحتها في الهواء على استقامة واحدة مأخوذة من الصف وهو جعل الشيء على خط مستقيم . وفي الآية الأولى من سورة الصّافّات * والصّافّات صَفّاً * يُقسم الباري عَزَّ وجلّ بكل من يصطف لاستماع ما يؤمر به ، كالملائكة ، أو من يصطف للجهاد والصلاة من الأناسي أو سائر من يصطف للتسبيح والعبادة . وفي الآية (١٦٥) من سورة الصّافّات ايضاً * وانّا لَنَحنُ الصّافّون * الملائكة في صفوفهم للصلاة . وقد ثبت في الصحيح وغيره أنّ النبي ﴿ ﷺ ﴾ « أمر الصحابة أن يصفّوا كما تصفّ الملائكة عند ربهم يقيمون الصفوف المتقدمة ويتراصفون في الصف . » . وفي الآية (٤) من سورة الصف * إنّ الله يُحب الذين يُقاتلون في سبيله صَفاً كأنّهم بُنيانٌ مرصُوصٌ * أي أنّ الله ينصر ويكرم ويؤيّد المقاتلين صافّين انفسهم في القتال صفوفاً متراصّة كأنهم في التحامهم وتماسكهم واتحادهم بنيان ملتزق بعضه الى بعض لا فَرجَةَ فيه ولا خلل . وهذا شأن الصادقين في الجهاد .[٦٤] وفي الآية (١٩) من سورة الملك * أولَمْ يَرَوا الى الطّيرِ فَوقَهُمْ صَافّاتٍ ويَقبضنَ مَا يُمسكهنَّ إلّا الرحمنُ إنّه بكلّ شيء بَصيرٌ * أي باسطات اجنحتهن في الهواء عند الطيران ويُضممنها اذا ضربن بها جنوبهن حيناً فحيناً للاستظهار على التحرّك . وفي الآية (٣٨) من سورة النبأ * يَومَ يقومُ الرّوحُ والملائكةُ صَفاً لا يَتكلّمونَ إلا مَن أذِنَ لهُ الرّحمنُ وقالَ صَواباً * فالروح جبريل أو جند الله أو أرواح بني آدم ، ومعه الملائكة في حال اصطفاف لا يتكلمون بغير الصواب وبعد أن يأذن الله لهم بالكلام . وفي الآية (٢٢) من سورة الفجر * وجَاءَ رَبُّكَ والملكُ صَفّاً صَفّاً * أي جاء أمرُ ربك والملائكة متكتلين في صفوف كثيرة .

٤١ . لو نظرنا الى الطير في الجوّ ــ والطيراسم للجمع والواحد ايضاً ــ لوجدنا الطائر الفرد يُفردُ جناحيه جناح يمين

www.dorat-ghawas.com

البدن وجناح يساره ، في كل جناح صفوف من الريش المتلاصقة المتناسقة المتباينة في اداء الواجب ، يعين بعضها بعضاً . قال بشار بن برد :

ولا تَجعــل الشّورى عليك غَضَاضَـةً
فَــريشُ الخــوافي قــوّةٌ للقَــوادِمِ

وقوادم الطير مقاديم ريشهِ وهي عشرة في كل جناح غالباً ، والواحدة قادمة ، وهي كبار الريش والخوافي صغاره وهي تحت القوادم . وما اكثر ما استعارت الجُنديّة لنفسها من تصريف الفاظ هذه الكلمة . فمن رفوف الطير في السماء أستُمدّت صفوف الجند عند اللقاء . فالقادمة هي الجيش في أحد معانيها . والمُقدّمة والمُقَدّمة : طائفة متقدمة للجيش . والاقدام : الشجاعة والمِقدام والقدوم والمِقدامة : الرجل الكثير الاقدام على العدو . وتاءُ المِقدامةِ للمبالغة والجَمْعُ مقاديم . والوِرْدُ : القطيع من الطير . والوِرْدُ : الجيش على التشبيه بقطيع الطير .[٦٥]

قال وداك بن ثميل المازني :[٦٦] .

مَقَاديمُ وصّالــونَ في الرُوع خَطْـوهُمْ
بكــــلّ رَقيقِ الشّفــــرتينِ يَمَــــانِ
إذا أستُنجدوا لم يسألوا مَنْ دَعَاهُمُ
لأيــــةِ حَرْبٍ أمْ بــــأيّ مَكَــــانِ

وما أشبه القوادم والخوافي في الجناحين المنفتحين بميمنة الجيش وميسرته وقد تكتّلت صفوفهما ، وما اشبه بدن الطائر بقلب الجيش ، واذا تَمثّلنا الصورة بعمق اكثر شبّهنا رأس الطائر بالمقدمة وذيله بالساقة وهذه هي تعبية (الخميس) الجيش الجرّار ، وبتعبير آخر فان كتلة الجناح الايمن (الميمنة) والبدن (القلب) وكتلة الجناح الايسر (الميسرة) تدعى بالصف المستقيم وهو أحد أساليب تعبية الصفوف . أمّا اذا عَدَدْنا كلمة (الطير) إسمَ جَمْعٍ فاغلبنا قد رأى ــ لا سيما في الربيع والخريف ــ الطير المهاجر وقد سارت زرافات مصطفة مرة بصف مستقيم واخرى بصف هلالي وثالثة بصف كمثلث متساوي الساقين . وربما شكّلوا دائرة حول عَمودِ عاصفةٍ نَوّامةٍ عند هبوب العواصف أو احياناً يتجذبونها بصف معطوف أمين . وتلك الصفوف كلها أوحت الى البشر بصفوف القتال نظاماً وتعبية[٦٧] .

التنظير والتدبير

٤٢ . التنظير والتدبير مصطلح يتغنّى به المعنيّون كل حسب اختصاصه العلمي أو الفني . وهو يفيد التوليف الجامع بين النظرية والتطبيق . ومن مُسمّياته ما في الذهن والخارج ، أو ما في الذهن والواقع ، أو ما يحصل بالقوة وبالفعل ، أو ما في الفكرة والتنفيذ ، أو بين الرأي والتدبير ، أو بين التصميم على الورق والتجسيم على الطبيعة . وكلّها متقاربة المعنى في مناحيها العامة . تعددت الأسماء والقصد واحد .

مرّ بنا آنفاً أنّ الرسول ﴿ ﷺ ﴾ نظّم الصفوف وعَبّاها ثلاثية الترتيب تكتّلتْ في ميمنة وقلب وميسرة كطائر يفرد جناحيه . ثم عمد الى افهام المقاتلين كيفية استخدام الاسلحة : بطريقة جماعية مؤثرة بإراءتهم مظاهرة تطبيقية ابتدأت بسؤال طرحه الرسول ﴿ ﷺ ﴾ ليلة معركة بدر على جنده المؤمن بقوله : « كيف تقاتلون ؟ .

فقام عاصم بن ثابت فأخذ القوس والنبل وقال : اذا كان القوم قريباً من (٢٠٠) مئتيّ ذراع كان الرمي بالقسيّ ، واذا دَنَوا حتى تنالنا أو تنالهم الرماح كانت المداعسة بالرماح حتى تتقصّف فاذا تقصّفتْ وضعناها وأخذنا السيوف فكانت المجالدة . قال النبي ﴿ ﷺ ﴾ : بهذا انزَلَتْ الحَرْبُ من يقاتل فليقاتل قتال عاصم .[٦٨]

وعلى هذه الشاكلة قاتلت الجيوش في صفحة الدفاع في القرن العشرين حيث يبدأ الفريق المُدافع برمي الصواريخ البعيدة المدى على تجمعات الفريق المُهاجم ، فالقصف الجوي بالطائرات لتدمير الجهد البعيد خلال اقترابه ، فاذا طالته المدفعية بدأ القصف المدفعي البعيد فالمتوسط فالقريب ، حتى اذا صار قريباً من الحافة الامامية للموضع الدفاعي صَبّ عليه المُدافع حُمَمَ سائر نيرانه المتيسرة لتبديد ما تبقى من قدرته المتفوقة . وعند التوقف يشن عليه المُدافع هجوماً مقابلاً عزوماً من أجل كسب المعركة وتمام الغلبة . كان هذا في الحرب العالمية الثانية وما تلاها .

واليوم ــ ونحن عند أصيل القرن العشرين ونهدف الى مطلع الألفيّة الثالثة ــ تغيّر أسلوب الاداء جذرياً بعد تجنيد الفضاء وعسكرته والافادة من التقانة الليزرية واحتمال استغلال فتحة الأوزون الحرارية واستغلال الظواهر الطبيعية الاخرى ، فلم تعُد الحَرْبُ حَرْبَ صفوفٍ وصنوف ، بل حربُ علْمٍ وفنٍ مُدَمّرين ، تُبقي على المادة والحجر وتَقضي على جنس البشر ، ووصفتْ بواحدة من ثلاث : خطأ ، أو مرض ، أو ضرورة نسبية ، واذا ما أثارها الطغاة الكبار فانّ تلك الاثارة بسبب عجزهم عن حلّ مشاكلهم بانفسهم . واذا ما أثارتها العولمةُ (Globalization) حوّلتها الى حصار أو افقارٍ او ضرب نارٍ وربما جمعتها معاً ، وربّما ابتكرت من الوسائل ما هو اكثر قذارة وشروراً .

www.dorat-ghawas.com

٤٣ . انَّ جملة « بهذا أُنزلتْ الحرب » هنا ، لها اكثر من ايحاء . فربّما اراد الرسول ﴿ ﷺ ﴾ أنَّ اسلوب القتال تقرر أن يكون متوالياً بحسب خواص الاسلحة واختلاف مدياتها ومقدار تاثيرها وبموجبه تُخاضُ الحربُ فتكسبُ ويفرح المؤمنون بالنصر الذي هو من عند الله عزَّ شانه . أو اراد الرسول ﴿ ﷺ ﴾ أن يقول إنَّ الله قدّرَ في نهنه هذا الاسلوب الذي مَثَّلهُ عاصم وأمره ان يقاتل المسلمون بموجبه وكان هذا القدح انزالاً باحدى طرق تبليغ المعلومات الالهية الى الرسل والنفوس البشرية ، والطرق كثيرة ومنها :

أ . التكليم ● ... وكَلَّم الله موسى تكليماً ● النساء / ١٦٤ .

ب . الوحي ● إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنَّبيِّين مِنْ بَعدِهِ ● النساء / ١٦٣ .

ج . التفهيم ● فَفَهَّمناها سُليمان ..... ● الانبياء / ٧٩ .

ء . الالهام ● فألْهَمها فُجورها وتَقواها ● الشمس / ٨ .

هـ . الاسماع ● .... إنَّ الله يُسمعُ مَنْ يَشاءُ ... ● فاطر / ٢٢ .

والتحديث ● .... ومن أحسنُ من الله حديثاً ● النساء / ٨٧ .

ز . الرؤيا ● لَقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخُلُنَّ المَسجد الحَرامَ إنْ شَاء الله .... ● الفتح / ٢٧ .

ح . الرؤية ● ... لنُريهُ مِنْ آياتنا الكُبرى ● الاسراء / ١ .

طـ . الارادة ● ... لتَحكُم بين الناسِ بما أراك الله ● غافر / ١٠٥ .

ي . التعليم ● وعَلَّمناهُ صَنعةَ لَبوسٍ لَكم ... ● الانبياء / ٨٠ .

ك . التنزيل ● ... وقرآناً فَرقناهُ لتقرأهُ على النّاس علىَ مُكثٍ ونَزلناهُ تنزيلًا ● (٦٩) الاسراء / ١٠٦ .

ل . الانزال ● .... فاذا أُنزلتْ سُورةٌ مُحكَمةٌ ... ● محمد / ٢٠ .

م . الانباء ● ... قالَ نبّأني العَليمُ الخبيرُ ... ● التحريم / ٣ .

ن . الاظهار ● ... وأظهرهُ الله عَليهِ ... ● التحريم / ٣ .

س . النفث ● من قول الرسول ﴿ ﷺ ﴾ : إنَّ رُوح القُدسِ نَفثَ في رُوعي أن النفس الخبيثة لا تخرج من الدنيا حتى تُسيء الى من احسن اليها .

٤٤ . أردف الرسول ﴿ ﷺ ﴾ أمرهُ الى المقاتلين أن يقاتلوا كما مثل لهم عاصم بأمر آخر بمثابة توجيه فنيٍّ لفاتحة النزال وتتابعه بهو : « إذا اكتنفكم القومُ فأنضحوهم بالنَّبلِ ، وأستبقوا نبالكم عَنْ بُعدٍ فإنَّ الرَّمي مع البُعدِ غالباً ما يُخطيء . ولا تسلّوا السّيوفَ حتى يغشوكم . ولا تحملوا حتى تُؤذنوا . »[٧٠] .

أي أنَّ تحديد توقيتات المراحل فيما يختص بتطور الموقف وخواص الاسلحة كان من ضمن الاقتصاد بالقوة والجهد وهو مبدأ من مباديء الحرب الحديثة . فكلماته التوجيهية لغرض التنفيذ المتعاقب كانت :

احذقوا / انضحوا ... اطعنوا بالرماح ... سلّوا السيوف وجالدوا ... ثم احملوا وشدّوا . أي ازحفوا باضافة الخطى الى السّيوف والسيُوف الى صدور المشركين الزُحُوف . لقد صَدَرَ أمْرُ الشَدِّ بعد أن توقَّف مَدُّ زَحف العدو المندفع وتخاذلَ سُراقة وفراره وقومه ، فَحبطتْ هَجماتُ قريش وصدّت واستقرت الرفعة للمسلمين وكانت تباشير النصر المبين ملء سمع وبصر المؤمنين .

واستيفاءً للغرض واستبانة للمراد نُعدد باختصار مراحل التقابل :

أ . تصافَفَتْ الفئتان ● فِئةٌ تُقاتلُ في سَبيل الله ، وأُخرى كَافرةٌ يرونهم مثليهم رأي العين ، والله يؤيدُ بنصره من يشاءُ ... ● وانتظم المسلمون بتشكيل الصف المستوي ذي الجناحين وتكتّل المشركون صفوفاً ، رَجَّالةً وخَيّالةً ، بانتظار الزحف بعد المبارزات الفردية والجماعية فهم ــ حسب تَصورهم ــ الفئة المتفوقة الاكثر نفيراً ونفراً ، الوافرة العُدّة الكاثرة العِدّة .

ب . استطلاع متبادل ، كل فئة تريد كشف تفاصيل امكانات وقابليات الفئة الأخرى .

حـ . مبارزة فردية بين المتحمس الاسود بن عبد الاسد الذي اندفع من بين الصفوف المشركة متحدياً المسلمين زاحفاً نحو الحوض ليشربَ الماء مُبْراً يمينهُ فتصدّى له حمزة بن عبد المطلب منطلقاً من صفوف المسلمين فاعترضه فقتله عند الحوض . ومبارزة أخرى بين عامر بن الحضرميّ ومَهجعَ مَولى عمر ابن الخطاب ﴿ رضي الله عنه ﴾ الذي أستشهد فيها .

ء . مبارزة ثلاثية تعاونية بين حمزة بن عبد المطلب وعلى بن ابي طالب والحارث بن المطلب ﴿ رضي الله عنهم ﴾ من جهة وبين شيبة وعتبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة من جهة معاكسة وكلهم ابناء عبد المطلب .

إستهلها عليّ بقتل الوليد ثم قتل حمزة عتبة ، وضرب شيبة ساق عبيدة فقطعها ، فَكَرَّ حمزة وعليّ على شيبة فقتلاه متعاونين ثم أحتملا عبيدة فحاذاه الى الصف[٧١] . وفيهم نزلت آية ● هذان خصمان أختصموا في ربّهم فالذين كفروا قُطعت لهم ثيابٌ من نارٍ يُصبُّ من فوقِ رؤوسهم الحَميمُ ... ● .

هـ . ثم شَدَّ الكفر كلُّه زاحفاً على الايمان كلّه في حملة فائقة

www.dorat-ghawas.com

الصولة (هجوم عام) مستغلين قابلية حركة الخيالة اجود استغلال ، والتحموا بصفوف المسلمين المنضبطين بوصايا رسولهم وهم صائمون . واحتدم القتال ولمعت السيوف مُقرّبة الآجال ، وثبت المؤمنون الابطال ثبات الجبال . ثم أوعز الرسول ﴿ ﷺ ﴾ اليهم بامرهِ : شدُّوا . فحمل جند الله على جند اللات حملة صادقة يضربون فوق الأعناق ويضربون كلَّ بنان ، والله يؤيدهم بملائكته مدداً وبشرى لطمانة القلوب بالفوز .

و . ثم فرَّ سُراقة وقومه فانخرق الصف وانهارت المعنويات وباشر المشركون بالهزيمة تباعاً .

ز . واستقرت الحال بهزيمة الكفار الاشرار مطعوني الأدبار زائغي الابصار ترهقهم ذلك العار ويُجلِّلهم الخسار ، وفي هزيمتهم قال الواحد القهار ﴿ حَتَّى إذا فَتَحنا عَليهم باباً ذا عذابٍ شَديدٍ إذا هُم فيه مُبلسُونَ ﴾ وقد فسرها ابن عباس ان المقصود هو القتل يوم بدر(٧٢) .

إذنْ فقد كَرَّ الكُفّار كَرَّةً واحدة وفَروا فرَّةً واحدة ولم يستخدموا أسلوب الكرّ الذي قد يكون فردياً أو جماعياً على التتابع أو بالقَدَمَة ، والفَرّ الذي قد يكون فرّ استطراد أوفرّ استعداد أوفرّ ابتعاد أوفرّ إمداد أوفرّ ارتداد مضمون أي انسحاباً مسيطراً عليه . وتلك اصطلاحات اصطنعها أهل العلوم المختلفة للدلالة على معانيهم بألفاظ نقلوها من معانيها المعروفة ، وصاروا يطلقونها على ما استنبطوه من معانٍ وما وقفوا عليه من حقائق . والمصطلح كلمة لها معنى لغوي يفهمه الناس عامة ومعنى آخر يفهمه أهل ذلك العلم فحسب ، الذي استعملت فيه الكلمة .(٧٣)

الفذلكة

٤٥ . نخلص من تدبر جماع التدوينات حسب ما توفر منها من معلومات ، وللكاتب اعتزاز ببضاعة متواضعة يحتجنها من حب التراث العربي الاسلامي ، والتخصص بالعلم العسكري وفن الحرب مع الشغف الآثير بالفن الحربي في القرآن المنير مقارناً بالمعطيات المعاصرة ذات العلاقة الصميمة ، من كل أولئك نخلص الى الموجز الآتي الذي نرجحه ونميل اليه في ما جريات هذا الموضوع :

آ . الصف القتالي معروف عند امم الأرض عبر التاريخ كما هو معروف عند عرب الجاهلية ولم يبتكره الرسول ﴿ ﷺ ﴾ في غزوة بدر الكبرى . انَّ قريشاً نفسها صافّت المسلمين في هذه الغزوة . وعليه فانّ من تابع اللواء الركن محمود شيت في إقرار ابتكار الصف في بدر ممن جاء بعده من المؤلفين قد اخطأ في الاخذ عنه قرار الابتكار . أمّا استاذي الشيخ اللواء الركن محمود شيت نفسه ، الذي قَدَّم لكتابهِ (الرسول القائد) بانه وضعه بعد أن قرأ كثيراً من المؤلفات العسكرية الباحثة في تاريخ حرب القادة العظام ، فضلاً عن تاليفه كتاب (الحيل الحربية) وكتاب (الروم في ارض الشام وليبيا ومصر) وكتاب (الهند قبل الفتح الاسلامي) وكتاب (المصطلحات العسكرية في الادب الجاهلي) ، وغيرها كثير فلا يخفى عليه ذلك . واكبر الظن أن استاذي الفاضل اراد أنّ اسلوب قتال المسلمين الذين انتظموا صفوفاً متراصة وقاتلوا بالطريقة التي شرحها عاصم بن ثابت ، أي باستغلال خواص الاسلحة ومدياتها وحسن معالجة الاهداف هي الطريقة المبتكرة التي باغتوا بها المشركين لعدم ممارستهم لها في القتال الجمعي والزحف من طرف واحد وثبات الطرف الثاني لامتصاص الهجمة الشرسة . ولعلّ ذاك كان النهج الذي وعاه والغرض الذي رماه ومقصده الذي نحاه ممّا خفي فحواه على بعض من تابعه من الكُتّاب والله اعلم بالصواب . ولا ضَرَرَ مِنْ كَلَفِ القَمَر ، وسُودُ الخيلان أطاريفُ خدود الحِسان . اما المبارزة الفردية واستخدام اسلحة البطل المودي المدجج فمعروفة لديهم كما قرأناها في قصيدة الشاعر الجون النمري ومَثَّل لها عاصم على انفراد .

ب . كتب اغلب من أخذ شيئاً من نصوصه المتقدم ذكرها عن كتاب (الرسول القائد) أنَّ اصطفاف المسلمين في بدر كان استناداً الى آية الصف ﴿ إنَّ الله يُحبّ الذين يُقاتلون في سبيله صفاً كانّهم بنيان مرصوص ﴾ وهذا جَنَفٌ في الأسناد وسَلخٌ للدبُ قبل الاصطياد لانّ سورة الصف بكاملها نزلت بعد غزوة بدر بمدة ليست بالقصيرة . إن هذه الآية تُوجّهُ الصورة لما حدث في بدر وما بعد بدر أي انها شاملة لها ولغيرها ولكن لم تنزل بسببها أو لمناسبتها لانها بيان وتبيان لما يرضي الله في أي زمان ومكان ، وامثلتها كثيرة في القرآن حيث العبرة بعموم اللفظ لا بخصوصية السبب ولا بتحديد المناسبة . فمثلاً آية الهجرة ﴿ إلّا تَنصُروهُ فَقَدْ نَصَرَهُ الله إذْ أخرجهُ الذين كَفروا ثاني أثنين إذ هُما في الغارِ ، إذ يقول لِصاحبهِ لا تحْزن إن الله معنا ... ﴾ نزلت بعد الهجرة بتسع سنين استرجاعاً لعبر لا تمحوها الأيام وليس وَصفاً آنياً للهجرة(٧٤) وكذلك هي سورة قريش ﴿ لإيلافِ قُريش ﴿ إيلافهم رِحلة الشِّتاء والصَّيفِ ﴿ فَليعبُدوا رَبَّ هذا البيتِ ﴿ الّذي أطعمهم مِن جُوعٍ وآمنهم مِنْ خَوفٍ ﴾ نزلت لاظهار العبرة والدرس المستفاد من أنَّ الاقتصاد المتين (مُبيد الجوع) والامن القومي (مبدد الخوف والجزوع) هما مبدأان أساسيان من المباديء التي ينبغي للأمة الكريمة العزيزة الحرص عليهما حاضراً ومستقبلاً كما أنعم الله

www.dorat-ghawas.com

بهما على قريش في الماضي . ومن هذا القبيل قوله تعالى * يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذّينَ كَفروا زَحفاً فلا تُولّوهُم الادبار ... * أي في حال زحفهم باتجاهكم ، وغالباً لا يزحفون إلا وهم اكثر نفيراً . نزلت هذه الآية في سياقها مع أُخريات في سورة الانفال بعد تحقق النصر في بدر وعند توزيع الغنائم والانفال ، ولكنّها سارية المفعول للتطبيق أبداً .

إنّ استاذي الشيخ اللواء الركن خطاب لم يقل أنّ آية الصف نزلت في بدر زماناً ومكاناً ، بل ذكرها تحت عنوان عام ــ تعميماً لا تخصيصاً ــ هو (تنظيم القتال في الاسلام) . وقد غابت هذه الملحوظة عن خاطر من جعل القتال في غزوة بدر استناداً اليها .

جـ . كذلك غامت الصورة في أعين من خصص حديث الرسول ﴿ ﷺ ﴾ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص . » بما جريات الحرب وكفى . فالحديث ذكره البخاري في صحيحه مرتين . مرةً في كتاب الصلاة واخرى في كتاب الادب في باب تشبيك الاصابع في المسجد وغيره . قال ابو موسى قال رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ : « المُؤمنُ للمُؤمنِ كالبنيانِ المرصوصِ يَشُدُّ بَعضهُ بَعضاً . » ثم شبك بين أصابعه ، وكان النبي ﴿ ﷺ ﴾ جالساً ....[٧٥] فالظرف عام يتسع لغيره ، والحرب فيه ولا خصوصية لها به .

ء . كان ابو سفيان صخر بن حرب صاحب لوآء الحرب في قريش . فلمّا تغيّب مع القافلة التجارية ودعت الضرورة الى القتال في اثناء غيابه ، تَسلّم القيادة أبوجهل ،[٧٦] فكان تُرسَ الآلة ولولب الحركة ومحور الغطرسة وصاحب القرار المُطاع في وجوب القتال وحضور المَصاع . أمّا القادة الأدنَونَ فللاستشارة والسماع ولا رأي لمن لا يطاع . إنّ السيطرة لم تخرج من يد أبي جهل عمرو بن هشام حتى قُتل وفرّ المشركون الى مكة عزين متفرقين فُرادىٰ وثُنىٰ وثُبات .

هـ . وتاسيساً للنتائج على المقدمات لم يظهر في غزوة بدر مفهوم العمق والاحتياط كما هو عليه في الحرب المعاصرة وكما ذكره خطاب في غضون الكتاب في الصفحة الثلاثين ، وارجّح هذه الحقيقة التي جاءت ضمن نقدات العميد الركن سيف الدين سعيد ، ولكن يمكن القول أنه كان هناك تعاون يجعل المسلم أخاً للمسلم لا يَخذلُه ولا يُسلِمُهُ ، ويكون احتياطاً له ومعيناً في الموقف الحرج . وقد لَمسنا هذا عندما تعاون حمزة وعلي رضي الله عنهما على قتل شيبة انقاذاً لثالثهما عبيدة بن الحارث . وحادثة اخرى في المعركة ذاتها عند قتل أبي جهل زعيم الطغاة الشّداد ورأس الشرك وحيّة بطن الوادي ، فقد حمل معاذ بن عمرو بن الجموح على أبي جهل فاطار قدمه الى نصف ساقه ، فضرب عكرمة بن ابي جهل معاذاً على عاتقه فطرح يده .

ثم تَوَلّى معوّذ بن عفراء أبا جهل وهو عقير ، فضربه حتى أثبتهُ وتركه وبه رمق . وقاتل معوّذ حتى قُتل . فتلّثَ عبد الله بن مسعود واحتزّ رأس أبي جَهل[٧٧] . ولعلّ هذا احد أوجه المصطلح المعروف في عصرنا بـ (روح التعاون Espritdecorps) .

و . أفاد العميد عبد الرزاق محمد اسود والعميد الركن سيف الدين سعيد في ما قدمنا من نصوص كتابيهما ، وهما من ضباط صنف خيالة الجيش العراقي في مطلع الاربعينيّات ويثويان في الحكم الى معرفة ميدانية وافية ، أنّ الخيل تخشى النبل اكثر من خشيتها من الرماح . وكذا رَسَمَ ابو العلاء صورة الطرف الذي صار كالقنفذ ممّا علق به من نبل . وكذا رسم المتنبي رَميَ ممدوحِهِ نواصي الخيل بالنشاب والنبل .

وعليه فالرأي القائل بوجود (الرُمّاحة) في الصف الامامي من صفوف المسلمين في بدر رأي مرجوح لا راجح لان وضع رماة النبل (القَوّاسة) خلف الرّماحة يعيقهم ويحدد عدد الاسهم التي بالامكان رميها على مئة أو سبعين خيالًا متقدماً اليهم ضمن مسافة زهاؤها (٢٠٠) مئتي ذراع ، علماً أنّ عدد القوّاسة قليل نسبياً لأن المسلمين خرجوا من المدينة على عجلة من أمرهم . كما بات من المعلوم أن الرمّاحة في أُحُد جَمَعَهُم الرسول ﴿ ﷺ ﴾ على مرتفع (عينين) لحاكمية المكان[٧٨] واكبر الظنّ أنّ الذين قالوا بوضع الرمّاحة امام القواسة أخذوه بداية عن الطرطوشي (ت ٥٢٠ هـ) من قوله في صفة ترتيب الجيش عند اللقاء في الاندلس : « أحسن ترتيب رأيناه في بلادنا أنْ نُقدّم الرجّالة بالدرق الكاملة والرماح الطوال والمزاريق المسنونة النافذة فيصفّوا صفوفهم ورماحهم خلف ظهورهم وهم جاثمون في الأرض وقد ألقموها رُكبَ أرجلهم اليسرى وخلفهم رماة السهام المختارون . والخيل خلف الرماة ... »[٧٩] . إنّ هذا ترتيب أملته طبيعة أرض الاندلس وهو جائز وما كلُّ جالزٍ حَسَنٌ في الصحراء .

ز . للعلاقة الوثيقة بين الصف والزحف بات لزاماً بيان شيء عن الزحف أسوة بما بيّنا عن الصف لئلا نهدر معاني الالفاظ ونهدم مباني الكلام ونخلط خصائص المفردات ونجعلها مترادفات وهي ليست كذلك .

جاء في لسان العرب . مادة (زحف) :

زَحَفَ : مَشَىٰ ● زَحَفَ الدَّبىٰ : مضى قُدُماً .

الزحف : مَشيُ الفئتين تلتقيان للقتال فيمشي كلٌ فيه مشياً رويداً الى الفئة الاخرى قبل التداني للضراب والزحف ــ أيضاً ــ : الجماعة يزحفون الى العدوّ بِمرّة .

www.dorat-ghawas.com

والزِّحاف في الشعر، سقوط حرف بين حرفين فيزحف احدهما على الآخر، وسُمّي زحافاً لثقله.

ولعل الزحف المُتمهّل الذي شبّهه (صن تزو) بعَظَمَة الغابة على هذا الاساس من الثقل.

والكتيبة التي لا تقدر على السير الّا رويداً من كثرتها تسمى الكتيبة الجَرّارة فاذ اجتمعت سُمّيتْ بالكتيبة المُلَملمة والملمومة[٨٠] وهذه التسمية بسبب ثقل الحركة وبطاءة السير وزُويد الزُحف.

والتّكتيب والتكتُّبُ من ممارسات الجاهلية. قال مالك بن نويرة.[٨١]

فقال الرئيسُ الحَوفزانُ تَكَتَّبوا
بني الحُصنِ قد شارفتمُ ثم جَرّدوا
فما فَتِئوا حتى رأونا كأنّنا
مِنَ الصُّبحِ آذيٌّ مِن البَحرِ مُزبِدُ
بَملْمومةٍ شَهباءَ بَبرقُ خَالُها
تَرى الشمسَ فيها حين دارتْ تَوقّدُ

ويذكر بشار بن برد الزحف فيحسن الوصف؛

وجَيشٍ كجنحِ اللّيلِ يَزحَفُ بالحَصَى
وبالشُوكِ والخُطّيُّ حُمراً ثَعالبَهْ

فالجيش الموصوف بالحصى يَصعُبُ عَدُّهُ ويَرحُبُ حَدُّهُ لكثرته. وبالشُّوك لوفرة أسلحته ذات الشوكة وتنوّعها. وافرد الرماح الخطيّة لجودتها. واراد بالثعالب الحمر نهايات الأسلحة الدامية لفزارة دماء الاعداء التي أريقتْ عليها. وهذا الجيش اسود سواد الليل من كثرة الحديد الذي يحمله المقاتل أو يلبسه. وخَصّ جنح الليل رمزاً للتناسق والتلاحك والكثافة كقوادم الطير وخوافيه.

ح. كلّ ذلك يقودنا الى التمييز بين الصف والزحف في الوصف ونوع الرّصف. وهذه محاولة هادفة لعرض مَعنييهما على نحو يُبرئهما من تشوه الصورة ويُمهد ما يحفّ بهما من وعورة.

فالصف إنتظام وترتيب. والزحف إنضمام ودبيب. فالانضمام والدبيب يشملان التكتّل والتجحفل والقَدَمةَ مع الحركة المُندسّقة قُدُماً. أمّا الانتظام والترتيب فيشملان الصف والرتل والنَسقَ والمسطر والخط والكردوس. وللكردوس معنى يختص بالقطعة العظيمة من الخيل، ويعَمُّ غيرها من الكتائب المتجمعة للحرب، ومن المحتمل أن يكون مُعرباً عن (Cohors / Cohortes)[٨٢] وقد جاءت لفظة كراديس في شعر الأعشى الكبير الجاهلي:

متى أدع منهم ناصري يـاتِ منهُمُ
كـــراديسُ مَـامـونَ عَليّ خُـذُولُهـا

أي ان دعوتهم يوماً لنصري أتتني منهم الكتائب والخيول مأمونة الخذول فلا خذلان أبداً وقال ابو تمام الطائي:

حَربٌ يكون الجيشُ بعضَ صَبـوحها
ويكـونُ فَضـلُ غَبـوقِهـا الكُـــردوسـا
غُـرمُ أمـريء من روجِـهِ فيهـا إذا
نو السِّلم أُغـرِمَ مَطعمـاً ولَبـــؤسـا
كم بين قـــومٍ، إنّمـا نَفقـاتُهمْ
مـــالٌ، وقـــومٍ يُنفقـونَ نُفُـوسـا

ط. وللمعاصرين اتفاق وافتراق وانفراج وامتزاج في توجيه بعض معاني الكلمات الخاصة بموضوع البحث توجيهاً نسمعه صُراحاً أو اصطلاحاً، وكلها تدور في فلك واحد في أحد مقاصدها.

فمن المقاصد المنتزعة من لسان العرب لابن منظور في النسق أنّ النسق من كل شيء ما كان على طريقه نظام واحد ● ونَفْرٌ نَسَقٌ: اذا كانت اسنانه متساوية ● والتنسيق: التنظيم ● والنسق: كواكب مصطنعة خلف الثريا ● ويقال: رأيتُ نسقاً من الرجال، أي بعضها الى جنب بعض. ومن مقاصده في الرّتل أنّ الرّتَلَ حين تناسق الشيء. وثَغر رَتَلٌ: حَسَنُ تنضيد الأسنان. وقد استحدثوا معنى آخر للرّتل ــ وقد سَكّنوا التاء فيه ــ ذكره المعجم الوسيط وهو: جماعة من الخيل أو السيارات أو الجند يتبع بعضه بعضاً.

٤٦. قد كان للترجمة شان مماثل فيما نهبنا اليه من توجيه المعاني. فمن مقاصد كلمة (line) الانكليزية كما حدده المعجم العسكري المُوحد، والمورد للبعلبكي، هو الصف والنسق والخط والنظام والاسلوب. وكلمة (Row) تفيد الصف والنسق والخط أيضاً. ومن مقاصد كلمة (rank) هو الصف والنسق والنظام والرتبة والترتيب. وتعني كلمة (File) الصف والرتل والطابور. ومن معاني كلمة (queue) الصف والرتل والطابور أيضاً. ومن مقاصد كلمة (Column) الرتل والطابور و « القُول ». ونكرر ما تفيده الكلمة اليونانية (koortis) من شمول الكتلة والكردوس والكتيبة والقطعة العسكرية المنتظمة والطائفة من الخيل.

والكلمات التركية ذوات الصلة بالموضوع هي (alay) تفيد الحشد واللواء « والطاقم » والكتيبة والجمع الغفير. وتعني كلمة (bölük) الكتيبة والسرية والزمرة. وتفيد كلمة (Orta)

www.dorat-ghawas.com

« أورطة » الفوج والكتيبة . وان كلمة (Ordu) تعني الجيش الميداني ، كالفيلق والفرقة .[٨٣] والفرق بين أغلب هذه الأسماء — لا سيّما الصف والخط والنسق والرتل — فرق بسيط مضمر لا يتعدىٰ الشكل والتعداد وتنطبق عليها قاعدة : « اذا اجتمعا افترقا واذا افترقا اجتمعا » ولنضرب لها مثلاً اليوم والليلة فاذا قلنا : مكثنا ثلاث ليالٍ ، فالليلة (٢٤) ساعة بليلها ونهارها . واذا قلنا : مكثنا ثلاثة أيام فاليوم (٢٤) بليله ونهاره . أمّا اذا قلنا : مكثنا ثلاث ليال واربعة أيام فالليلة (١٢) ساعة واليوم (١٢) ساعة .

قال تعالى * سَخَّرها عَلَيهم سَبعَ لَيالٍ وثَمانيةَ أيّامٍ حُسُوماً ... * فعندما افترق اليوم أو الليلة عن بعضهما اجتمع المعنى (٢٤) ساعة وعندما اجتمعا معاً افترق المعنى فصار (١٢) ساعة لكل منهما .

وكذا اذا ذكرنا الصف لذاته تَضَمَّنَ الكردوس والعكس صحيح ملموس ، واذا اجتمع الصف والكردوس تخصص كل منهما بشكله وعدده . وهكذا الرتل والنسق . والفوج والكتيبة والجيش والخميس .

القتال وواقع الحال

٤٧ . تطرح ثمالة المقال شرحاً مقتبساً ذا صلة بموضوع القتال والمعاصرة ويستمد منهجيته من حديث الرسول ﴿ ﷺ ﴾ : « أنتمْ أعلَم بامور دُنياكم » . أي أنّ شؤون الدنيا تتبع اجتهاد البشر مؤمنهم وكافرهم . وأنّ الانبياء لم يُبعثوا ليعلّموا الناس الحِرَف وفنون الصناعات والزراعة والهندسة والطب . إنّ صميم رسالاتهم هو شرح العقائد والعبادات والأخلاق وتزكية النفس والمجتمع وبث التعاليم التي تحكم الصلات بين الناس وربّهم ، وبينهم وبين بعضهم ، وتُعدُّهم للعودة الى الله اتقياء بررة . فالجهاد مثلاً واجب ، لكن أدوات الجهاد واساليبه ليس لها قالب مُعيَّن تُصَبُّ فيه . فاذا تغيرت الوسائل من السيف والرمح الى المدفع والصاروخ ، تَغَيَّرتْ معها الأحكام القديمة وتحوّل رباط الخيل الى انشاء المطارات والحصون الحديثة والى انشاء معاهد العلوم الذرية والكيميائية والأحيائية وتجنيد الفضاء وتقانة اللّيزر وثورية المعلومات .. الخ .

قديماً كان المقاتل يشتري سلاحه من ماله الخاص ويتعهد صيانته ويتدرب عليه تباعاً . فاذا سمع نداءً أو هيمةً خرج راجلاً أو مع فرسه الذي ارتبطه في سبيل الله . فاذا أستُشهدَ خَلَّفَ أيامىٰ ويَتامىٰ . واذا جرح تحمّل مداواة نفسه ! ونظام الغنائم — هنا — لابدَّ منه بل هو العدالة المفروضة .

أمّا اليوم فقد تغيرت الحال فالدولة تجنّد الأفراد وتعدُّهم وكامل احتياجاتهم للقتال ... الخ[٨٤] .

إنّ تعبية الرسول ﴿ ﷺ ﴾ جيشه في معاركه هي سُنّة استهدفت المصلحة التي هي النصر . فاذا اقتضت المصلحةُ التغيير اليوم أو غداً غَيَّرنا فيها لانها سُنّة غير تشريعية وتتعلق بالمتغيّرات الدنيوية ... الخ[٨٥] والامور الدنيوية المحض التي لا تنظّم العلاقة بين الخالق والمخلوق ولا تنظّم العلاقة بين الانسان وأخيه الانسان ، بل تُنظّم اصول الزراعة والحِرف والمهن والتجارة وفن الحرب وما أشبه ذلك لا يلتزم بها المسلمون لا وجوباً ولا ندباً ، وما أشرق هدى الله لمثل هذا . بل هذا وامثاله متروك لما يخططه العقل البشري الذي زَيَّن الله به الانسان ومَيَّزه به عن الكائنات الحية أجمع .[٨٦]

نَكتُ الكِنانَة

٤٨ . يقيناً ، لم أقصد التصدّي للصف القتالي البدري المدوَّن في كتاب (الرسول القائد) .لكنّ قراءتي نصوصاً نُقلت عنه بتصرف وتحرّف عفوي الجأتني الى كتابة هذا المقال . ويَدَثُ النقول كخالٍ جميلٍ على خدٍّ أسيل .

والله اسأل ينفعنا بما كتب استاذي محمود شيت خطاب العالم الجليل وما كتب من تطرقنا الى نتاجهم المعرفي الاصيل .

وأقول :

نَضَّـــرَ الله أخـاً أصغىٰ لقَـولي
ووَعـــاهُ وَعيَ إنســـانٍ نَبيـــهْ
وأتـــاني حيثُ أخطـاتُ بنُصـحٍ
وهَـدَاني لمكـــان اللّيسِ فيـــهْ
وجَـــزَاهُ الله غَيَّ كُـــلُّ خَيـــرٍ
إنّمـــا المُـــؤمِنُ مِـــرآةُ أخيـــهْ

والحمد لله في البدء والختام والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير انَام وعلى آله واصحابه واتباعه الكرام .

جريدة المظان والتبيان

(*) تيسّر المعجم الفهرس لآيات القرآن الكريم ، والمرشد اليها ، وتيسر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف ، وما هو مطبوع من دواوين الشعراء ، سهّل للقارىء الباحث الرجوع الى ما يريد من آي القرآن والاحاديث الصحاح والاشعار الواردة في متن المقال . فباتت الاشارة الى ذلك في المظان غير ملزمة الا ما أوجبتها خصوصية نادرة . كما أن الاشارة الى المصادر والمراجع المعتمد عليها تأتي تفصيلية عند ذكرها للمرة الأولى .

١ . محمود شيت خطاب ، اللواء الركن . الرسول القائد . ط ١ بغداد ١٩٥٨

www.dorat-ghawas.com

ص ص ٨، ٣٠، ٧٣، ٧٨، ٨٤.
٢. الكتب ذوات الاقتباس واسماء مؤلفيها.
أ. محمد احمد باشميل. غزوة بدر الكبرى. طـ ٣ بيروت ١٩٦٦ ص ص ١٥٨، ١٦٠، ١٦٢، ٢٦٨.
ب. عبد الرؤوف عون. الفن الحربي في صدر الاسلام. طـ مصر ١٩٦١ ص ٢٣٨.
جـ. احسان هندي. الحياة العسكرية عند العرب. طـ دمشق ١٩٦٤ ص ٢٤٩.
ء. محمد خالد، العميد الركن. قصة التعبية. طـ ١ بغداد ١٩٦٩ ص ٤٧.
هـ. ياسين سويد، المقدم، معارك خالد بن الوليد طـ بيروت ١٩٧٣ ص ٩٩.
و. عماد الدين خليل، الدكتور، دراسة في السيرة طـ دار النفائس ١٩٧٤ ص ١٨٥.
ز. عبد الجبار السامرائي، الرائد. نظم التعبية عند العرب. مجلة المورد العراقية، العدد الرابع ١٩٨٣ ص ٨.
ح. محمود احمد عواد. الجيش والقتال في صدر الاسلام. طـ ١ الاردن ١٩٨٧ ص ٢٢٥، ص ٢٣٠.
طـ. نهاد الجبوري، الرائد. العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين. طـ ١ بغداد ١٩٨٧ ص ٤٤.
ي. وزارة الاعلام العراقية. الجيش والسلاح. طـ بغداد ١٩٨٧ ج ٢ ص ٨.
ك. اكرم العمري، الدكتور. السيرة النبوية الصحيحة طـ ٤ المدينة المنورة ١٩٩٣ ص ٣٦١.
٣. الكتب الملمة بالموضوع واسماء مؤلفيها.
أ. نعمان ثابت، الرئيس الركن. الجندية في الدولة العباسية طـ ٢ بغداد ١٩٥٦ ص ٢٣٣، ص ٢٣٤.
ب. محمد جمال الدين محفوظ، المقدم الركن. معارك الاسلام الاولى. طـ مصر لا تاريخ ص ٣٥، ص ٦٥.
جـ. عبد الرزاق محمد أسود، العميد. حياة الرسول المصطفى. طـ ١ بيروت ١٩٨١ ج ٢ ص ٤٢٣.
ء. كونستانس جورجيو. نظرة جديدة في سيرة رسول الله. مترجم. طـ ١ بيروت ١٩٨٣ ص ٢١٩، ص ٣٤٣.
٤. سيف الدين سعيد، العميد الركن. الحركات العسكرية للرسول الاعظم في كفتي ميزان. طـ ١ بيروت ١٩٨٣ ص ص ٧٢، ٧٣، ١٦٤، ١٦٥.
٥. وزارة الثقافة والاعلام. الجيش والسلاح. ج ١ ص ٣١٦، ج ٢ ص ١٩.
٦. طه باقر. مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة. طـ ١ بغداد ١٩٧٣ ج ١ ص ٣١٦، ص ٣٤٩.
٧. الكتاب المقدس، العهد العتيق طـ بيروت ١٩٨٨ سفر القضاة، فصل ٢٠ فقرات ١٩ ــ ٢٣.
٨. قصة التعبية ص ٢١.
٩. يوسف خلف عبد الله. الجيش والسلاح في العهد الآشوري الحديث. طـ ١ بغداد ١٩٧٧ ص ص ١٠٤، ١٨٢، ١٨٣.
١٠. جرجي زيدان. تاريخ التمدن الاسلامي طـ مصر لا تاريخ ج ١ ص ١٥٨.
١١. قصة التعبية ص ٢٣.
١٢. صن تزو. فن الحرب. ترجمة حداد طـ ١ بيروت ١٩٧٥ ص ص ٩٩، ١٠٢، ١٠٨، ١٢٠.
١٣. م. ن. ترجمة فاخر عبد الرزاق. مجلة الثقافة الاجنبية العدد الاول السنة ٧ بغداد ١٩٨٧ ص ص ٢٢٣، ٢٢٩، ٢٣٩.
١٤. م. ن ترجمة كنعان خورشيد العميد الركن، ضمن كتاب جذور السوق طـ ١ بغداد ١٩٨٧ ص ٢٤.
١٥. جورج كاستلان. تاريخ الجيوش طـ ١ مصر ١٩٥٦ مترجم. ص ٢٢.
١٦. قصة التعبية ص ٢٥.
١٧. م. ن ص ٢٦. المرّادون هم رُماةُ المرّادات. والمرّادة (Catapulta) آلة أصغر من المنجنيق لقذف الاحجارة.
١٨. م. ن ص ٢٧.
١٩. اميل درمنغم. حياة محمد. ترجمة عادل زعيتر طـ ٢ مصر ١٩٤٩ ص ١٢٧. ثم هـ. ج. ويلز موجز تاريخ العالم ترجمة عبد العزيز جاويد طـ مصر ١٩٥٨ ص ١٩٥.
٢٠. محمد كرد علي. رسائل البلغاء طـ ٣ مصر ١٩٤٦ ص ٣٧٦.
٢١. زهير احمد القيسي. موقع الشطرنج في التراث الشعري العربي. مجلة العربي العدد ٢٢١ نيسان ١٩٧٧ ص ٩٧.
٢٢. ابن خلدون. المقدمة. طـ مصر ص ص ٢٧١ ــ ٢٧٣.
٢٣. الجيش والقتال في صدر الاسلام. ص ٢٣٤ التعبية في القتال.
٢٤. الفن الحربي في صدر الاسلام. ص ٥٣.
٢٥. ابو الفضل ابراهيم وآخرون. ايام العرب في الجاهلية طـ مصر لا تاريخ ص ٥١.
٢٦. المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٥ ص ٣٠٠.
٢٧. م. ن ص ٤١٩.
٢٨. م. ن ص ٤٢١.
٢٩. م. ن ص ص ٤٠٠، ٤٤٢، ٤١٠، ٤١٢، ٤١٦.
٣٠. م. ن ص ٤٤١، ص ٤٤٠.
٣١. م. ن ص ص ٤٤٢، ٣٩٤، ٤٤٦.
٣٢. علي الجارم واخرون. البلاغة الواضحة. طـ مصر لا تاريخ ص ١٦٢.
٣٣. الواقدي. المغازي. طـ بيروت لا تاريخ. محققة ج ١ ص ٢١٤. ثم محمد لطفي جمعة. ثورة الاسلام وبطل الانبياء. طـ مصر ١٩٥٩ ص ٩٤٣.
٣٤. المظفر العلوي. نضرة الاغريض طـ دمشق ١٩٧٦ ص ١٨٧.
٣٥. م. ن ص ١١٣.
٣٦. عبد المعين الملوحي. المنصفات. طـ دمشق ١٩٦٧ ص ٤٤.
٣٧. نضرة الاغريض. ص ١٣٨.
٣٨. ابن سيدة. المخصص. طـ بيروت لا تاريخ. السفر السادس، ابواب القتال ص ٨١، ص ٨٣.
٣٩. ابن قتيبة. الشعر والشعراء طـ ٣ مصر ١٩٧٧ ج ١ ص ٣٢٧.
٤٠. الجاحظ. البيان والتبيين. طـ ٢ مصر ١٩٦٠ ج ٣ ص ٢٥.
٤١. ابن الجوزي. اخبار الحمقى والمغفلين طـ بغداد ١٩٦٦ ص ٢٣٢.
٤٢. توفيق الفكيكي. ادب الفتوة والدعاية العسكرية عند العرب طـ النجف

www.dorat-ghawas.com

١٩٤١ ص ٣١ .
٤٣ . محمود شكري الالوسي . بلوغ الارب في معرفة احوال العرب . ط ٣ مصر ١٣٤٢ هـ ج ٣ ص ٤ ، ص ٥ .
٤٤ . أيام العرب في الجاهلية . ص ٣٠ .
٤٥ . ابو عبيدة معمّر بن المثنى . النقائض ، نقائض جرير والفرزدق ط ليدن ١٩٠٧ ج ٢ ص ٦٤٣ . باختلاف يسير . ٤٦ . عبد الجبار السامرائي ، العميد . الاسهامات الجهادية للمرأة العربية ـ مجلة المورد العراقية العدد الاول سنة ١٩٩٩ ص ٤٣ .
٤٧ . ابن قتيبة . عيون الاخبار . ط مصر ١٩٦٤ كتاب الحرب المجلد الاول ص ١٣١ .
٤٨ . ابن مماتي . الفاشوش في حكم قراقوش . ط مصر لا تاريخ ص ١٧٠ .
٤٩ . احمد محرّم . ديوان مجد الاسلام . ط مصر ١٣٨٣ هـ ص ٣٦٦ .
٥٠ . المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام . ج ٥ ص ٤٢٧ .
٥١ . ابن هشام . السيرة النبوية . محققة . ط ٢ مصر ١٩٥٥ ق ٢ ص ٦٦ . ثم أبن القيّم . زاد المعاد ط مصر ١٩٧٠ ج ٢ ص ١٠٣ .
٥٢ . الحياة العسكرية عند العرب . ص ٣٠٥ .
٥٣ . علي بن عدلان الموصلي . التبيان شرح الديوان . ط مصر ١٩٥٦ ج ٣ ص ٢٩٣ . الشرح منسوب غلطاً لابي البقاء العكبري .
٥٤ . الثعالبي . المتشابه . مجلة كلية الاداب العراقية العدد العاشر سنة ١٩٦٧ ص ١٦ ، ص ٢٦ .
٥٥ . احمد عبيد الكبيسي ، الدكتور . المرأة والسياسة في صدر الاسلام . ط ١ أبو ظبي ١٩٨٠ . ثم ياقوت الحموي . معجم البلدان . ط بيروت ١٩٥٧ ج ٤ ص ٢٤٢ .
٥٦ . ابن منظور . لسان العرب . مادة (كيل) . ثم أسامة بن منقذ . لباب الاداب . ط مصر ١٩٣٥ . محققة . ص ١٧٧ . وقد سُكّنَ الباء في (أَضْرِبْ) المفتوحة الهمزة لتوالي الحركات .
٥٧ . البلاغة الواضحة . ص ٢٢٣ .
٥٨ . ابن حنبل . مسند الامام احمد . ط بيروت لا تاريخ ج ١ ص ١١١ ، ص ٣٩٧ .
٥٩ . ابن هشام . السيرة النبوية . ق ١ ص ٦٢٥ .
٦٠ . مغازي الواقدي . ج ١ ص ٩٢ .
٦١ . احمد زيني دحلان . السيرة النبوية ط ١ بيروت ج ١ ص ٣٩١ . مطبوعة على حاشية السيرة الحلبية .
٦٢ . الحلبي علي بن برهان الدين . السيرة الحلبية ط بيروت لا تاريخ ج ٢ ص ١٦٤ .
٦٢ . الرصافي ، معروف . الشخصية المحمدية . مخطوط ج ، ص ٤٠٠ .
٦٤ . للتوسع تراجع زبدة التفاسير ، وصفوة البيان لمعاني القران ، وتفسير الجلالين . وغيرها .
٦٥ . لسان العرب . مادة (قدم) و (ورد) .
٦٦ . الاصفهاني ، محمد بن داود . الزهرة . ط بغداد ١٩٧٥ محقق . ج ٢ ص ٢٢٥ .
٦٧ . للمقارنة والتوسع ينظر كتاب مختصر سياسة الحروب للهرثمي ط مصر ١٩٦٤ . محقق . الباب ١٧ . ص ٣٤ . ثم كتاب تاريخ فن الحرب للجنرال ستراكوف ط ١ دمشق ١٩٦٨ . مترجم . ج ١ ص ١١٧ .
٦٨ . ابن هذيل الاندلسي . عين الادب والسياسة وزين الحسب والرياسة ط بيروت ١٩٨١ ص ٣٠١ عن الحسن بن السائب . ثم ديوان مجد الاسلام هامش ص ١٨٦ .
٦٩ . ذكر الراغب الاصبهاني في كتابه (مفردات غريب القرآن) مادة (نزل) أن التنزيل يختص بالموضع الذي يشير اليه انزاله مُفَرّقاً ومرة بعد اخرى ، والانزال عام ، وذكر ابن منظور في مادة (نزل) مثل هذا واضاف رأياً لابي الحسن مفاده ألّا فرق بينهما في مهلة أو جملة .
٧٠ . ابن هشام . السيرة النبوية . ق ١ . ص ٦٢٦ . ثم صحيح البخاري ، مغازي / ٩٩ . ثم مغازي الواقدي ج ١ ص ٦٧ . ثم الطبري ، محمد بن جرير . تاريخ الطبري ط ٢ مصر ١٩٦٨ ج ٢ ص ٤٤٦ ثم السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٦٠ .
٧١ . مغازي الواقدي . ج ١ ص ٦٨ ، ص ٦٩ .
٧٢ . السيوطي . تفسير الجلالين . الطبرسي . مجمع البيان .
٧٣ . جميل سعيد ، الدكتور . دروس في البلاغة وتطورها نقلاً عن مجلة المورد العدد (٢) سنة ١٩٩٧ ص ٧٨ .
٧٤ . محمد الغزالي . علل وادوية . ط ٢ دمشق ١٩٦٦ ص ١٦٨ .
٧٥ . صحيح البخاري . صلاة / ٨٨ ، أدب / ٣٦ .
٧٦ . مغازي الواقدي . ج ١ ص ٣٩ ثم دحلان . السيرة النبوية ج ١ ص ٣٦٨ .
٧٧ . ابن هشام . السيرة النبوية . ق ١ ص ٦٢٥ .
٧٨ . مغازي الواقدي ج ١ ص ٢١٩ .
٧٩ . الطرطوشي . سراج الملوك . ط ١ مصر ١٩٣٥ ص ٣٣٧ .
٨٠ . الثعالبي . فقه اللغة . ط بيروت ١٨٨٥ ص ٢٢٠ .
٨١ . ابن عبد ربّه الاندلسي . العقد الفريد . ط مصر ١٩٦٥ ج ٥ ص ١٩٩ .
٨٢ . عبد الرحمن زكي ، العقيد . السلاح في الاسلام . ط كصر ١٩٥١ حرف الكاف .
٨٣ . ابراهيم الداقوقي ، الدكتور ، وآخرون . المعجم التركي العربي ط بغداد ١٩٨١ صفحات شتى .
٨٤ . محمد الغزالي ، السيرة النبوية بين اهل الفقه واهل الحديث ط ٤ ١٩٨٩ ص ١٣٢ .
٨٥ . محمد عمارة ، الدكتور . الاسلام وحقوق الانسان ط عالم المعرفة الكويت ١٩٨٥ ص ١١٩ .
٨٦ . خالد رشيد الجميلي ، الدكتور المدخل في دراسة الشريعة الاسلامية والقانون ط بغداد ١٩٨٩ ص ١٢٧ .